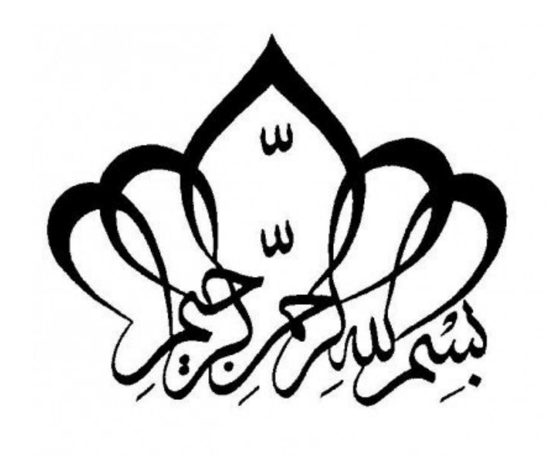

مغارة
الطوّاف
رواية
وليد عرفة

مغارة الــطَّوَّاف

الجــــزء الأول 2019

وليد عرفه



تنويه

كل الأحداث التي ستقرؤها هنا أحداث حقيقية

وليس لها أي علاقة بالخيال



هنا ...

ستجد تفاصيل لأحداث لم تكن لتسمع عنها من قبل هنا ستقع مع من وقعوا ، وسيرتفع نجمُك حتى تكاد تلامس يداك السماء ، هنا ستجد مَن يُشبهك ، وستجد أبطالًا صدَّرهم لك المجتمع حتى تجد مَن تقتدي به في عالم العهر والأنحلال .

ولكن علينا أولًا أن نعقد أتفاقًا ..

أنت هنـا لتقـرأ ..

وأنا هنا لأكتب لك ما ستقرؤه ..

وليد عرفه

إهداء ..

إلى أولئك المُغرِّدين في ساحات الحرية في كل مكان ..

إلى أولئك الذين اختاروا الرحيل من أجل البقاء ..

إلى أولئك الشهداء الذين قدَّموا أرواحهم لإسقاط الطغاة..

إلى شهداء الميدان الحر الشريف ..

إلى أطهر جيل شهدته الأمة العربية على مدار تاريخها كله..

إلى أحرار تونس، مصر، ليبيا، سوريا، الجزائر،إلى أبطال السودان

إلى الحالمين بالعدل ، إلى الطامحين بالغد ، وإلى المسافرين بالجسد

وتاركين أرواحهم تسبح في سماء الطُّهر والعفة والحب والمساواة ...

إلى الأحرار في كل مكان..

إليكم أُهدي هذا النص



في هذا الكتاب ..

ستطوف معي الأرض ، ستنزع عنك هذا الجسد ، لتتحرر بروحك فتطوف معي بين الأزمان . أَعلمُ يا صديقي أنك لطالما تمنيت أن تُخلق في عالم غير العالم وفي زمان غير الزمان .. وأَعلم أنك لطالما حلُمت أن تصاحب نبيًّا في دعوته أو تجالس حواريًّا أو صحابيًّا ، لطالما قتلتك الحسرة وأنت تعلم أنك خُلِقت في زمن أنتهت فيه المعجزات ، وخلت الأرض فيه من الأنبياء .

ولكنني اليوم ..

سأجعلك تشاهد الأحداث وتراقب المشهد ، سأجعلك تطوف الأرض

في هذا الكتاب..

ستشاهد تفاصيل العالم التي حلمت يومًا أن تَطلع عليها. ستخرج من بلادك لتطوف البلاد مع إدريس ، وستركب السفينة لتنجو من الطوفان مع نوح ، ستعلم من أين جاءت عبادة الأصنام مع هود ، وسنبكي معًا على ناقة صالح ..

في هذا الكتاب..

سآخذك من يدِك لأُريك بأم عينيك أرض الخبائث، هناك حيث يسكن لوط، وسنتحسس خُطانا لكي نشاهد النمرود، وهو يضع الخليل إبراهيم في النار، ويعقد هذا الاتفاق الملعون مع إبليس على إقامة الصرح المهيب ، ستشعر وأنت معي أنك حُرٌّ ، لكن للحرية ضريبة، وعليك أن تدفعها ، سأرعاك حتى تنضج فإذا نضجت فلا ترهقني من أمري عُسرًا . أنت هنا مُسيَّر، وأنا من سيتحكم في سفرك ، ما دمتَ لم تُغلق الصفحات فأنا كفيلك ، ولن تغادر هذه الأرض إلا بشروط ...

هل أنت مستعد الآن للإنطلاق ؟ حسنًا ..

فقط أرِحْ ظهرك للوراء قليلًا..

أغمض عينيك ..

املأ رئتيك بالهواء الكافي لأنك ستحتاج إليه ..

إنطلق

جبل قاسيون (سوريا)

زمن آدم عليه السلام

هنا لابد أن تستجمع كل قُواك لأنك سترى بعيون الجبال ونبض

الصحراء..هل تراه؟

إنه هناك ذاهبًا إلى مكة , إنه أبو البشرية جمعاء

البشري الذي أخرج الملعون من الجنة .. إنـــــه(آدم عليه السلام)

تراه الآن يعدُّ العُدة من أجل السفر لأداء فريضة الحج .. نعم فريضة

الحج يا صديقي فهي أقدم الفرائض التي فرضها الله في الأرض ولكن

عليه أولًا أن يستحفظ السماء على بَنيه فإستحفظها فأبت ، فاستحفظ

الأراضين والجبال فأبت أيضًا ، فالأمر جلل والأمانة عظيمة . ولكن من

تَراهُ سيحملها على كاهله ليسقط في غيابات الجحيم !

إنه هو ... قابيل

رضي قابيل بحمل هذه الأمانة حتى يُخلي بينه وبين أخيه . وطوَّعت له نفسه قتل أخيه فقتله وكان نائمًا بالقُرب من جبل قاسيون .

تعجَّب الجبل من صَنيع قابيل ، وكيف أراق دم أخيه هابيل بهذه الوحشية ، وهذا السَّفك المتعمَّد للدماء ...

فَتح الجبل عينه في دهشةٍ لكي يراقب المشهد ، وبعد أن استوعبَ ما فعله الأخ بأخيه من أجل القربان العظيم ، فتح الجبل فاهُ وأراد أن ينقضَّ على القاتل لقتله ، ولكن هناك قوى أوقفتْهُ ومنعته مما كان مقبلًا على فعله ، فما زال الجبل شاخصًا عينيه حتى الآن يبكي من هول ما رأى وسمع من فعل بني البشر ..

ورفض أن يشرب من دماء هابيل ، فظلت تلك الدماء إلى الآن محبوسة في مغارة الدم في جبل قاسيون ..

حمل قابيل أخاه على ظهره ما يقرب من العام ، لا يعرف كيف يُواري جثمان أخيه ، إلى أن بَعَثَ الله غُرابين تصارعا فقتل أحدهما الآخر،

فنَبَشَ القاتلُ في الأرض حتى يُواري جثمان من قَتلَ . ففَعَلَ قابيلُ ما فَعَلَ الغراب ...

بعد هذه الحادثة فَرَّ قابيل مع زوجته إلى السهول البعيدة خشية لقاء أبيه آدم عليه السلام وتناسلا وكَثُرَ نسل قابيل ..

وعاد آدم عليه السلام وعَلم ما كان يُخبئه له الشيطان ففوَّض أمره لله لعل الله يُخلفه خيرًا منه ويبدله بالصبر على مصيبته ما تَقرُّ به عينه

ثم أكمل آدم عليه السلام حياته في الجبال ووُلد له شيث علية السلام في هذا الزمن فقرَّبه آدم إليه لما رأى فيه من علامات النُّبوة والصلاح فزاده في العلم حتى يحمل راية التوحيد من بعده

عاش شيث علية السلام في الجبال الوعرة مع أبيه آدم وأمِّه حواء، وعاش أخوه قابيل في منطقة السهل .

تكاثَرَ قومُ شيث عليه السلام في كل شيء وأغدق الله عليهم الخير الكثير وكان في الرجال من جمال الخِلقة والخُلق ما لم يكن في سكان السهل وكان العكس في النساء..

ولكن...!!

هل سيظل الشيطان هكذا في حالة الغياب التام من المشهد

والأحداث !! بالطبع لا ..

فقط إصعدْ معي الآن يا صديقي إلى هذا الجبل لكي أجعلَك تراه ولكن

دون أن تُصدر أيَّ صوت فلو رآنا فالله وحده أعلم كيف ستكون نهايتنا

أُنظر .. أُنظر هل تراه

إنه هناك يرتدي زِيَّ الخادم المسكين .. زِيَّ الغلام الوديع الذي يعمل

أجيرًا لدى رجل منهم وبعدها بزمنٍ أخذ يبتكر لهم الأمور الغريبة

وأشكال اللِّباس المتنوعة وجعل لهم عيدًا يجتمعون فيه فتبرَّجت النساء

للرجال وصنع لهم مزمارًا كمزامير الرُّعاة وأخذ يُزمِّر فيه بصوتٍ جميل

لم يُسمع مثله من قبل .

في تلك الأثناء أخذ الصوتُ ينتقل في الهواء حتى إقترب من الجبال

فسمعه بعض قوم شيث من ضعيفي النفوس ولفتت غرابته إنتباهَهُم

فأخذوا يقتربون من ديار قوم قابيل ويراقبونهم من بعيد ويستمعون

إلى مزاميرهم لكنهم خافوا من عقاب شيث عليه السلام لهم فإكتفوا بالإستماع والمشاهدة من بعيد ولكن هل سيظل الحال كما هو عليه الآن ؟

وهل سيكتفي هؤلاء بمجرد النظر من بعيد دون الدخول إلى تلك الأرض ؟

هنا لمعت عين إبليس وقرر أن يذهب إليهم فينظر في أمرهم إن أرادوا الدخول فهو معهم أينما ذهبوا يقضي لهم حاجاتهم ويُسهل لهم سبيل الوصول .

دار إبليس حولهم في دهاء مرتديًا زيَّ الخادم الناصح الخاضع لهؤلاء السادة وعرض عليهم الدخول معه إلى السهل وأنه بدوره سيُلبي لهم كل مطالبهم وسَيمْددُهُم بأجمل نساء هذه الأرض ولكن فقط عليهم تجاوز الجبل والدخول معه إلى سهول قابيل

نظر الرجال بعضهم إلى بعض وقرروا أن يبعثوا معه رسولًا فينظر كيف هو الحال وكيف تكون حياتهم في السهل ثم يعود إليهم بالخبر اليقين ...

هنا تجرَّأ رجل من قوم شيث عليه السلام   ودخل بين قوم قابيل في عيدهم بصحبة لوسفير أمير الظلام . فتعجَّب من حُسن نسائهم وطريقة تبرجهنَّ ومن جمالهنَّ الشديد   ثم رجع ذلك الرجل إلى رفاقه وأخبرهم بما رأى من حُسنٍ وجمالٍ وتبرجٍ حتى أغراهم بما قال ووصف فعصوا شيث عليه السلام ودخلوا في عيدهم وإختلطوا بنسائهم وإفتُتنوا بحسنهنَّ وإفتُتنت النساء بحسنهم وحلَّق إبليس منتشيًا بهذا الأنتصار العظيم ورفع رأسه إلى السماء وتذكَّر ما كان من أمر آدم عليه السلام فإشتدَّ غيظُه وتذكَّر ما دار بينه وبين ربه في اللقاء الأخير :

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَاتَجِدُأَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ

وحدث اللقاء بين رجال الجبل ونساء السهل ليكون ذلك أول زنا يقع في تاريخ البشرية

بعد تلك الحادثة تسامَعَ ضُعفاء الإيمان من قوم شيث بما حدث فهفت نفوسُهم إلى المعاصي والأفتتان بالنساء وأخذوا يُهاجرون من الجبال إلى السهول حتى بدأ يقلُّ عدد أصحاب شيث عليه السلام مقابل زيادة عدد قوم قابيل ودبَّ الفساد والفسق والفواحش في قوم قابيل ومَن هاجر إليهم وإمتدَّ فُحشهم إلى خارج قُراهم فأخذوا يهجمون على المؤمنين فيؤذونهم ويقتلون منهم فأنتشر القتل والزنا وسَفْكُ الدماء في الأرض ..

هنا أرسلَ الله تعالى (إدريس عليه السلام)

مدينة بابل 4000 ق.م

في زمنٍ ساد فيه الظلام رُبوعَ الأرض وكست الدنيا ملامحُ العتمة .

في زمنٍ بكت فيه السماء وغضبت فيه الأرض وتعجَّبت الملائكة من صَنيع ولد آدم . في فترة من فترات التاريخ البشري التي لا يعرف عنها الكثيرون أي شيء

جلس يخطُّ بعصاه في الرمال إنه هناك ... هل تراه ؟ إنه ذلك المهيب في قومه إنـه إدريس بن يارد بن مهلائيل أول أنبياء بني آدم أُعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام .. إنه ذلك المعلم الفذ في تاريخ البشرية , ذلك الزاهد الذي لا يكلُّ من دعوة الناس لعبادة رب الأرباب

لم يأتِ إدريس برسالةٍ جديدة بل دعا بما دعا به شيث وآدم عليهما السلام فقد كانت الأرض في زمنه ما زالت في حالتها البِكر التي لم تُدنس بَعد بعبادة غير الله ولكنهُ الصراع الأزلي بين قوى الخير والشر

ذلك الصراع القائم ما بقيت السماء والأرض

دعا إدريس العُصاة إلى العودة إلى شرع الله وعدم الخروج على شريعة شيث عليه السلام ولكن رفض قوم قابيل ما أمرهم به إدريس وقرروا التمادي فيما يفعلون

فتعالت ضحكات إبليس لمَّا وجد أن بذرة الشر التي وضعها فيهم قد أتت بثمارها وقرروا ألَّا يَنصاعوا لأوامر نبي الله إدريس عليه السلام

وهنا أخذت إبليس العزة وشعر أنه سيدهم بعدما أصبح له شأن وبعدما أظهر لهم من الفِتن المستحدثة والقوة ما لم يكن فيهم , فجمعهم ذات يوم وأبلغهم أن إدريس لن يتركهم فيما هم فيه وعليهم أن يعدوا العُدة للقائه . ولكن سأله أحدُهم عن سبب عِلمه ومَن أين يأتي بكل هذه الأخبار والأحداث قبل وقوعها وبزمن ليس بالقريب ؟!

وهنا اشتدَّ غضبُ إبليس وتحوَّل إلى هيئته الشيطانية الملعونة وإقترب منه وهمس في أذنه كالفحيح قائلًا له : ليس لك أن تعرف كل ما أعرف فلستُ أنا وأنت إلا حلفاء بحلفٍ أنا السيد فيه وما أنت ببالغ مبلغي ولو سعيتَ فما أنت في النهاية سوى بشري تبول وتجوع وتموت

هنا عَلموا عِظم ما نهاهم عنه شيث عليه السلام وهَول ما هم فيه

....

في هذه الأثناء جهَّز إدريس عليه السلام جيشًا عظيمًا من الخيول والمشاة وهجم على قوم قابيل فهزمَهم وقتل وسبى منهم فكان إدريس بذلك أول مَن شرع القتال في سبيل الله تعالى وأول من سَبى من الأنبياء . ولكنه لم يكتفِ بهذا فحسب بل أخذ يحاور كل طائفة منهم بلسانهم .. 72 لسانًا هي جملة اللغات في هذا الزمان وذلك العصر   ثم أخذ يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينهاهم عما كانوا يفعلون فخطَّ لهم بالقلم وعلَّمهم الكتابة   وأخذ يُخطِّط لهم المدن ويشرح لهم كيف تكون الدول وكيف يكون العمران في الأرض فهُم ما خُلقوا إلا لعمارة الأرض وعبادة الرب وظَلَّ هكذا يعلمهم حتى بُني في عهده 188 مدينة من أجمل المدن التي شهدتها الأرض .

هنا صاح إبليس اللعين وتذكَّر أمر أجداده ممن كانوا يسكنون الأرض قبل خلق آدم وكيف قضت الملائكة عليهم   ولم تُبقِ منهم من أحدٍ   إلَّا

مَن فَرَّ منهم إلى تلك الأماكن التي تأنف الملائكة أن تدخلها . وبعد صعود الملائكة إلى السماء حاملة معها إبليس نفخ إسرافيل في البوق وهو ينظر إلى الأرض التي عَمَّتها الفوضى وإنتشر فيها الخراب وقال :

(لقد فعلنا ما أمُرنا به فسلام عليك يا سوميا أنت وبنيك من الجان الآن) .

وقفلت السماء فظهر وهجٌ عظيم أحرقَ الأرض وزلزلها خَلفه غبار كثيف أظلم الأرض لمدة عامٍ مات فيه من الجان ما مات حتى دعا سوميا ربَّه ودعا أبناءه من الجان إلى العودة إلى الله والإكثار من الإستغفار فظهرت الشمس من جديد لكي تفتح صفحة هي الأولى في التاريخ بعد عام الظلام الذي أحاط بالأرض وعُرف هذا العصر بــ (عصر الجان الثاني)

توالت الأحداث أمام عين لوسفير وهو يبكى بكاء شديدًا على ما فعله إدريس فيه وما فعله مهلاييل جد سيدنا إدريس من قبل . فبعد وفاة آدم وحواء ظهر إبليس وجُنده من شياطين الجن والمردة والغيلان للعلن

ليبسطوا نفوذهم على الحياة في الأرض فكوَّن مهلاييل جيشًا من

البشر لملاقاة جيش الجان فهزمهم شَرَّ هزيمةٍ وهذه كانت أول معركةٍ

في التاريخ تحدث بين البشر والشياطين الذين سكنوا الأرض ولم يكتفِ

مهلاييل بهذا فقد أسَّس مدينتين مُحصَّنتين هما مدينة بابل ومدينة

السوس الأقصى ليحتمي بهما الإنس من الجن . ثم أسَّس الجيش

الإنسي الذي هو أول جيشٍ عرفته البشرية على مدار تاريخها كله .

عض الملعون على يديه من الغيظ وهو يتذكَّر كل هذه الأحداث .. إلى أن

رفع رأسه ناحية السماء لكي ينطلق فإذا به يرى مشهد خروجه من

الجنة على يد آدم عليه السلام

فصرخ في غضب : (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)

ثم إنطلقَ

طاف إدريس عليه السلام الأرض يدعو لعبادة الله وحده لا شريك له

فسادَ السلامُ وعمَّ الرخاءُ وتكاثَر البشر وبُنيت المدن وعلَّمهم علم

السياسة والمدنية والزراعة وإستحدث إدريس لنفسه وللبشرية من بعده ذلك الثوب الأنيق الذي أراك تتباهى به بين الخلائق الآن واستمرّ الأمر على هذا الحال إلى أن رَفُع الله إدريس عليه السلام إلى السماء الرابعة .

زمن ما قبل الطوفان

بعد ألف عام من وفاة آدم عليه السلام أو يزيد وبعد رَفْعِ إدريس إلى السماء الرابعة بعدة قرون . في فترة من فترات التوحيد في الأرض ظهر خمسة من الرجال الربانيين المؤمنين العابدين الموحِّدين لله عز وجل وهم (ود ، سواع ، يغوث ، يعوق ، ونسر) .

ظَلَّ هؤلاء الرجال يدعون إلى التمسك بما جاء به إدريس- عليه السلام ومن قبله شيث وآدم عليهما السلام وظلوا يحثون الناس على التقرب إلى الله والتغلُّب على الشهوات والزهد في متاع الحياة البالي فعشقهم الناس وأحبُّوهم حبًّا شديدًا

مات هؤلاء الرجال بعد فترة طويلة من النُّصح ونَشْر العلم النافع بين الناس فظل الناس يذكرونهم بكل الخير وينسبون الفضل لهم على ما هم فيه من علمٍ ودين .

ولكن إنتظر .. إنتظر أرجوك

هل تشتمُّ معي هذه الرائحة الخبيثة التي أحاطت بهذه القرية ؟! من

أين جاءت ؟! وما سبب هذا العفن ؟! إنه هو .. أنه هو

إصعد معي فلا وقت لكي أشرح لك الآن

إنه قاااادم ... قاااااادم

عودة إبليس

عاد الملعون من جديد وظهر للناس ولكن في هذه المرة ليس بزي

الخادم المسكين بل بزي رجل الدِّين الوَرِع ذلك الإنسان التقي الذي

يحثُّهم على إقامة الشعائر وتعظيم عِباد الله الصالحين ويُحبِّبهم في

إحياء ذكرى هؤلاء الرجال الخمسة . وتمجيدًا لذكراهم أمرهم أن

يصنعوا صورًا وتماثيل لهؤلاء الرجالالصالحين فأطاعوه وصنعوا لهم

صورًا وتماثيل ووضعوها منتشرة في كل مكان وصاروا يقدسونها

ويذهبون إليها في طلب الحاجة . ولمَّا طالت الأيام وتغيَّرت الأجيال

وكَثُر الجهلُ والفساد في الأرض أمَرَهم أن يعبدوا هذه التماثيل

والأصنام الخمسة :

وقالوا لا تذرُنَّ ءالهتكم ولا تذرُنَّ وَدًّا ولاسُواعًا ولا يغوثَ ويَعوقَ ونسرًا

فأطاعوه وعبدوهم وإتخذوهم آلهةً من دون الله فصاروا كافرين

مشركين بعد أن كانوا مؤمنين موحِّدين .

ومن هنا بدأت عبادة الأصنام والشرك بالله لأول مرة في تاريخ الجنس البشري على الإطلاق

ظل الأمر هكذا على الأرض لفترة ليست بالقليلة حتى صارت عبادة تلك الأصنام هي المنهج والميراث الذي خلفه الآباء للأبناء ومع تعاقُب الأجيال ظهر جيلٌ لم يعد يعبد غير تلك الأصنام ويسجدون لها جهارًا ويشدُّون إليها الرِّحال .

لا تحزن يا صديقي فتلك الأيام نُداولها بين الناس فهذا الجيل الذي تُحلق فوق سمائه الآن هو أشقى جيل عرفته الأرض . جيلٌ يعبد أجدادًا لهم كانوا في الأصل يدعونهم للتوحيد وعدم الشرك بالله . جيلٌ لم يعصِ الله وفقط بل كفروا بوجوده من الأساس .

وهنا كان لابد من إرسال رسول من عند الله رسول يأتي بدينٍ جديد لهؤلاء القوم رسول هو الأول على الإطلاق

إنـــه (نوح عليه السلام)

زمن الطوفان

قَوم بني راسب (العراق)

الآن أنت في حضرة الرسول الأول على هذه الأرض , الأب الثاني

للبشرية بعد آدم عليه السلام النبي الذي لولاه ما كنت لتطوف معي

الآن   ولكن إنتبهْ جيدًا فأنت معي في حضرة

نوح بن لامك بن متوشلخ بن إدريس



عاش نوح عليه السلام بين قومه فترة من الزمن قبل نزول الوحي

يتعجب من صنيع هؤلاء الناس الذين يدعون أصنامًا بأسمائها ومَن يشتدُّ

منهم في القوة والمال يصبح مَن يعبده هذا الرجل هو الإله المُسيطر

على قلوب الناس خوفًا من بطشه وإضطهاده

شاعت الوثنية وعبادة الأصنام وأنتشر الفجور والفساد في الأرض

وحَلَّق إبليس كعادته فوق سماء بني راسب يدعوهم إلى الإكثار من صُنع

الآلهة فلم تعد تخلو دار من وجود التماثيل التي صنعوها بأيديهم بل

تمادوا أكثر من ذلك ووضعوها في الطرقات وعلى شواطئ نهر الفرات

كان سيدنا نوح عليه السلام   يتأمل منظر الناس وهم يسجدون لتلك

الأصنام والحسرة تملأ قلبه شفقةً عليهم وذات يوم رأى الناس نوحًا

على غير العادة يهتف فيهم :

يا قومي .. إني رسول الله إليكم , الله الواحد الأحد , الله الذي

خلقكم وهو الذي يرزقكم . كُفوا عن عبادة تلك الأصنام التي لا تَضُرُّ ولا

تنفع . إُنظروا إلى السماء الواسعة وما فيها من نجوم . إُنظروا إلى

الشمس وإنظروا إلى القمر , إنظروا كيف يعيش الناس ويموتون جيلًا

بعد آخر

أيا قومي ما لكم لا ترجون لله وقارًا   !!

تعجَّب الناس من صنيع نوح عليه السلام فكيف تجرَّأ هذا النجار الفقير

أن يسُبَّ آلهتهم ويسُب ما كان يعبده آباؤهم من قبل

هنا ظهر إبليس والغضب قد بلغ منه مبلغه   فهو لم ينسَ ما فعله

إدريس جَدُّ سيدنا نوح به من قبل فصار إلى كبير قوم بني راسب في

هيئة رجلٍ من أشرافهم وأمره أن يجمع القوم ويُعنِّفهم ويحثَّهم على عدم الإنصات لنوح وإلَّا فالعذاب والموت سيكون مصيرهم ومصير أبنائهم فصار الناس في الطرقات كلما تقدَّم لهم نوح ليدعوهم يضعون أصابعهم في آذانهم ويغطون وُجوههم لكي لا يروا نوح عليه السلام خوفًا من البطش والعقاب

إشتدَّ البلاءُ بمن آمنَ مع نوح من الضعفاء والمساكين فآواهم في بيته خوفًا من أن يُصيبهم من قومه ما يُصيبه من أذًى

عَلم القومُ أن نوحًا يؤويهم في بيته فأجمعوا أن يذهبوا إليه لكي يخرجوهم   فخرج عليهم نوح قائلًا   إنهم عباد الله وهم في ضيافة الرحمن وأنهم ليسوا في ضيافته

فسخر منه قومُه وضحكوا مما يقول   .

سنون تمرُّ وجيل يُسلم راية العصيان للجيل الذي يليه والكفر أصبح هو الدين القابع في نفوس هؤلاء الناس والأصنام صارت مثل المأكل والملبس والمشرب يسجد لها الناس في الطرقات والحانات وأماكن الفجور

سنوات تمرُّ وعقود تمضي ونوح أبدًا لا يكل ولا يمل من دعاءهم إلى

الله وإلى العودة إليه والكف عما يعبدون ولكنه لم يجد منهم غير

السخرية والبُعد والعِناد بل تمادوا أكثر من ذلك بكثير

فذات يومٍ دقَّ باب نوح عليه السلام فإذا برجل طاعن في السِّن

يُمسك في يديه حفيدًا له ويقول

(يا بُني .. سيفتح لنا الآن رجل كذاب مجنون سيدعوكَ ذات يومٍ لكي

تترك دين آبائك وأجدادك فلا تفعل وقاومه بكل ما أُوتيت من عزمٍ

وجَلَد)

نظر إليهم نوح في عجبٍ !!

ما بال هؤلاء القوم لا يؤمنون بل يورثون الكفر جيلًا بعد جيل

هنا رفع الصبيُّ العصا التي كان يتوكأ عليها ذلك العجوز وضرب بها نبيَّ

الله في رأسه ضربة حقدٍ وغِلٍّ وكفرٍ مبين فسقط الدم من نبي الله

نوح عليه السلام فعلم أنه لا فائدة من هؤلاء الناس

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأرض مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ

يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا

صار الناس في الطرقات يُضيِّقون على من آمن مع نوح عليه السلام ويلحقون بهم الأذى ويقطعون عنهم سُبل العيش والسلام

وذات يومٍ جاءت امرأة عجوز إلى نوح عليه السلام تئنُّ من طول الصبر والضعف والإنكسار وتسأله : (متى وعد الله يا نبي الله ؟ متى وعد الله يا مُنقذ الضعيف ونبي الرحمة وملجأ الخائف؟ متى وعد الله يا أبا البشرية بعد آدم ؟ طال الصبر وإشتدَّ البلاء وصار الجيل يأتي حاملًا معه الكفر وهو في أحشاء أمِّه ومَن يولد على الفطرة يوصيه أهله وهو في صِغره أن يكفُر بك وبدعوتك متى وعد الله يا نبي الله ؟ ضاقت بنا الأرض فأين سَعةُالسماء ؟

هنا رفع نوح عليه السلام عينه إلى السماء والحزن قد ملأ قلبه ولم يجد ردًّا يشفي به صدر هذه الآمة المؤمنة الصابر

فهبطَ أمينُ السماء حاملًا معه رسالة الوحي

السلام عليك وعلى من اتَّبعك يا نوح فإنه لن يؤمن معك من قومك إلا من قد آمن .. فإصنع الفلك وإستعن بالله

هنا حزن نوح حزنًا لم يحزن مثله قط فقد سَبَقَ السيف العذل ولن يؤمن معه سوى هذا العدد القليل . 80 شخصًا هم جُملة مَن آمن به طوال تلك المدةالطويلة فيعُمر دعوته إلى الله

عَلِمَ نوح بهذا أنه ما عـاد مُكلفًابالـدعوة بعـد الآن وأن عليـه تكليفًـا آخـر وهو صُنع السفينة

فكَفَّ نوح عليه السلام عن دعاء قومه وخرج خارج القريـة الـتي كـانوا يسكنون فيها وأخذ يصنع السفينة من تلـك الأشـجار الـتي أمـره اللـه أن يزرعهـا فـي قـرون دعـوته . سـاعده مـن سـاعده مـن المـؤمنين المستضـعفين الـذين آمنـوا بـه وبرسـالته فأخـذوا يجمعـون الخشـب وينشرونه ويقطعونه بأطوال مختلفةٍ حدَّدها لهم نـوح عليـه السـلام ثـم يطلون هذه الألواح بالقار ثم يثبتونها بالمسامير ..

إلى أن بلغ طول السفينة 200 متر x عرض 70 مترًا x ارتفاع 25 مـترًا، مكوَّنة من ثلاثة طوابق كانت كافيةلكي يحمل نوح عليها مـن كـل شـيء فـي الأرض زوجيـن فكـان الطـابق الأول للحيوانـات البريـة والوحـوش والطابق الثاني له ولمن آمن معه والطابق الثالث للطيور .

لم يتركه قومه من السخرية والاستهزاء به وبما يصنعه فسخروا منه

وإتهموه بالجنون فكيف لرجلٍ عاقل أن يصنع سفينة في صحراء

قاحلة ؟

ظل الحال هكذا والمؤمنون مع نوح يعملون في السفينة ليلًا ونهارًا

بعزم ونشاط لا يفتران ولا ينضبان لمدة 80 سنة هي مدة بناء السفينة

حتى إنتهت تمامًا ورُفعت عليها الأشرعة

ظل الناس يترقبون خروج الماء من التنور فيذهبون كل يوم إلى بيت

تلك المرأة ويقفون أمامه ما بين خَوفٍ ورجاء , ما بين شكٍّ ويقين ,

ما بين رغبة في العيش الكريم وما بين مرارة واقعهم الكئيب

ظل الحال على هذه الوتيرة إلى أن ..

فار التَنورُ

في يوم أعلنت السماء فيـه بـدأيه عصـر جديـد علـى الأرض . عصـر فيـه الغلبة ستكون للمؤمنين الموحدين بالله رب العالمين فـإزدحمت السـماء بالغيوم كأنهـا تُصـارع بعضـها بعضًـا فـي إهلاك هـؤلاء المشـركين بـالله وغابت الشمس في وَضَحِ النهار وحَلَّت محلها ظُلمةُ الغيوم وأحسَّ نـوح عليه السـلام أن هنـاك أمـرًا سـيحدث فـي هـذا اليـوم فأخـذ ينظـر إلـى السماء منتظرًا أمر الله - سبحانه وتعالى -وإذا به كذلك حتى جاءته فتـاةٌ صغيرة تبكي وتجري بكل ما أوتيت مـن قـوة لتخـبره أن التنـور قـد فـار وقد خرجت المياه من أعماق النيران المشتعلة في بيت جدتها

جرى نوح عليه السلام إلى بيـت المـرأة فوجـد التنـور قـد تحـوَّل إلـى نافورة من المياه والمرأة تنظر لا تدري ماذا تصنع أخذ المؤمنون كلهم يُهرولون إلى بيت تلك المرأة لكي يـروا العلامـة الـتي أخـبرهم بهـا نـوح عليه السلام .

نظروا وأعينهم تبكي من الخوف والفرحة معًا .. نظـروا إلـى نـوح عليـه السلام فإذا به يصيح فيهم

الآان ، الآااان

إلى السفينة يا عباد الله

وإذا بالسفينة كأنها في إنتظارهم حتى ركبوا جميعًا فدعا نوح الطيــور والحيوانات وكل من هو غير عاقل فجاؤوا إليه يركُضون مـن نـداء واحـد ليصدق قول ربُّنا : وَكَانَ الْإنسان أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا

وَقَفَ نوح عليه السلام على أبواب السفينة حتى يركب كُلُّ من آمن به وبدعوته وإذا بزوجته تتخلَّف عنه فقد كانت على دين قومِها

زاد صوت الرعد في السماء وتفتَحَت الأرض عيونًا من ماء وتساقط المطر كأن أبواب السماء تصُبُّ غضبها لكي تُطهِّر الأرض من رجز هؤلاء المشركين

عَلَت النداءات وإشتدَّ البكاء والخوف والرعب وإرتفعت السفينة في الماء وصارت الرياح تضربها من هنا والموج يقذفها من هناك وإذا بـــ كنعان , ولد النبي نوح عليه السلام

يشاهد السفينة وهي تسير فيناديه نوح أن اركب معنا يا بُني فلا عَاصم

اليوم من أمر الله

فيرفض كنعان ويقول سأصعد إلى هذا الجبل لكي أحتمي به , ثم

يذهب ناحيتهُ فإذا بالجبل قد تفجرت منه عيون من ماء فأبتلعته .

جرت السفينة مُسرعةً كأن أمرًا قد صَدر إليها بالسير فقد أتمَّت ما قُدر

لها من عدد

تعجَّب نوح ودعا ربه .

رباه إن ابني كان مؤمنًا !!

(وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ

أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا

تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ

مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

إنطلقت السفينة تشقُّ طريقها ما بين العواصف والأمواج العاتية

تتقاذفها الأمواج ما بين مشرقٍ ومغربٍ إلى أن وصلت إلى مكة فطافت

حول البيت الحرام 40 طوافًا ثم تدافعتْها الأمواج ناحية العراق .

150 يومًا طافت فيها السفينة بالأرض المباركة إلى أن استوت على

الجودي .

صارت الأرض بحرًا كبيرًا غاصت فيه الجبال وأبتلع الماء كل شيء

الرعد يعصف والسماء لا تكفُّ عن المطر والرياح تعوي كأنها أعلنت

الغضب

أربعون يومًا كانت كافيه لإغراق الأرض كلها وإبتلاع جبالها وهِضابها

هنا دعا نوح ربهُ في خوفٍ وإشفاق على من نجا معه من المؤمنين فقد

بَلَغَ منهم الخوف مبلغهُ

شيئًا فشيئًا إنقشعت السُّحب وهدأت الرياح وأشرقت السماء وسكن

الموج العاتي أربعون يومًا رأى فيها المؤمنون المستضعفون في الأرض

قُدرة ربِّهم وعِظيم سُلطانه وكُثرة جنده

ثم يهدأ كل هذا ليستيقظ المؤمنون ذات صباح على يومٍ هو أجمل أيام الأرض على الإطلاق فالسماء صافية تمامًا ويظهر فيها قوس قزح من الألوان البنفسجية والخضراء والزرقاء تشعرك من أول وهلةٍ أنك في جنةٍ حقيقيةٍ .

إبتسم نوح لمن معه من المؤمنين فعلموا أنهم نجوا من الطوفان العظيم وتعانقوا بالأجساد والأرواح معًا .

أرسل نوح عليه السلام الغراب لكي يبحث لهم عن أرض خضراء يابسة تصلح للعيش فطاف الغراب يسعى في الفضاء ويبحث هنا وهناك ولكنه عاد ولم يجد أرضًا يابسة تصلح للعيش فيها وفي المرة الثانية أرسل نوح - عليه السلام حمامة بيضاء لكي تقوم بفعل الغراب فطافت الحمامة في السماء تبحث عن أرض تؤويهم وإذا بها تهبط على أرض خضراء يابسة وتأتي بغصن من الزيتون وتعود به إلى نبي الله نوح

فرح المؤمنون وإستبشر نوح ومن يومها وصارت الحمامة هي عنوان السلام وغصن الزيتون هو علامة العيش والنماء .

ظلت الأرض غارقة بالماء ما يقرب من 150 يومًا ثم ..

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

رست السفينة وإبتلعتُ الأرض ماءها فظهرت من جديد الجبال الراسيات في الأرض كالأعلام بعد أن غُسلت الأرض كلها من دنس الشرك والوثنية . غادر نوح السفينة لكي يهبط على جبل الجودي في الشمال الغربي للعراق والجنوب الشرقي لتركيا وهبط معه المؤمنون لكي تعود الحياة على الأرض من جديد بعد أن انقطعت الحياة عليها طوال مدة الطوفان

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ

هبط نوح ومن معه عند جبل الجودي، وبنوا أول قريةٍ في تاريخ الأرض بعد الطوفان أسموها قرية (ثمانين) .. صام نوح ومعه المؤمنون في أولِ يومٍ نزلوا فيه من السفينة وكان يوافق يوم عاشوراء.

عاش الموحدون حياة هادئة ليس فيها ما يُعكر صفوهم فلم يكن هناك ظالم ولا مظلوم .. لم يكن فيهم مَن يرتكب الآثام ويفعل الشرور فهم صفوة الصفوة من المؤمنين الذين سكنوا الأرض

هم دُرة الجنس البشري على الإطلاق فمِن نسلهم سيأتي الأنبياء وستبدأ الأرض في رِحلتها الثانية من جديد .

ظل الحال على هذا الأمر سنواتٍ طويلة من الطاعة والمؤاخاة بين المؤمنين،إلى أن إبتلت ألسنتهم ذات يوم بالماء فتفرقت ألسنتهم إلى 80 لغة فصاروا لا يفقهون كلام بعضهم البعض وأصبح نوح عليه السلام - هو من يُعبر عنهم .

زمن ما بعد الطوفان

هَبَطَ نوح عليه السلام ومعه 3 من أبنائه بعدما مات كنعان غرقًا وهم :

سام أكبر الأبناء، وكان عمره 98 عامًا عند حدوث الطوفان وعاش 500 سنة بعد الطوفان ، ومن نسله جاء الآشوريون والعبرانيون والعرب والآراميون .

حام ثاني أبناء نوح عليه السلام ومن نسله جاءت الشعوب الأفريقية ومنهم المصريون القدماء والأمازيغ .

يافث ثالث أبناء نوح عليه السلام ومن سلالته إنبثقت شعوب أوروبا

(وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ)



أحسَّ نوح عليه السلام بإقتراب أجله فجَمَـعَ أولاده وأوصـاهم بـإثنتين ونهاهم عن إثنتين فأمرهم بلا إله إلا الله وسـبحان اللـه وبحمـده فهـي صلاة كل شيء وبها يُرزق الخلق . وأمـا الأخريـان فنهـاهم عـن الشـرك والكِبر فما أهلكَ اللهُ القوم إلا لأستكبارهم في الأرض بغير الحق .

مات نوح عليه السلام بعد أن أتمَّ رسالته عن عمر قد تجـاوز 1700 عـام صام فيها الدهر كله إلا يومين إثنين من كل عام وهما يومى عيد الفطر وعيـد الأضـحى . لا تتعجـب يـا صـديقي فمـا أقصُّـه عليـك ليـس مـن الإسرائيليات لكي تنكرها بل هـي الحقيقـة الـتي تجهلهـا فـالنور كلـه يخرج من مشكاة واحدة .

إنتقل نوح إلى جوار ربِّـه بعـدما أنقـذ البشـرية مـن الهلاك، وبعـدما أتـمَّ رسالته على أكمل وجهٍ .

وادي مُغيث

الآن أفْرِغ الهواء الذي في صـدرِك وإسـتبدلْ بـه هـواء غيـره . أَعلـمُ يـا صديقي أن الطريق كان طويلًا بل طويلًا جدًّا ، وأَعلمُ أنك تريـد أن تُغلـق الصفحات لكن تمهَّل يا صديقي فأنت الآن في أرض الأحلام الـتي دائمًـا ما تسمع عنها في عالم الخيال وتراها في أفلام الفانتازيا

إنها أرض الشُحرُ _ وادي مغيث _ بلدة الأحقاف بالتحديد تلك البقعة مـا بين عُمان وحضر موت باليمن .

مرحبًا بك يا صديقي في مدينة العجائب ..

أرض الحضارة والعمارة والفن والكيمياء بلاد تسيَّدت الدنيا في فترة من فترات الظلام في الأرض ..

أعطاهم الله كل ما يحتاج إليه شعب مِن مُقوِّمات التقدم والازدهار والرخاء ليقودوا الأمم ويتسيدوا الدنيا .

مرحبًا بك في أرض الأحقــاف أكبر إمبراطوريةٍ في عصور ما قبل الميلاد .

في هذه المرة لن أطلب منك الهبوط معي ولكنني سأطلبُ منك الصعود

الصعود طويلًا وبأقصى ما أوتيتَ من سرعةٍ فأنت في أرض الجبارين

فحذارِ أن يرانا منهم أحد .

مرحبًا بك في أرض الوحوش البشرية .. فمتوسط طول الفرد في هذه

الأرض يتراوح ما بين ال 70 إلى الــ 100 ذراع .

لا مجال الآن للتعجُّب !

نعم .. أُقسم لك بذلك . فمتوسط الطول في هذه المدينة كما أخبرتُك

تمامًا لذا فسنصعد أنا وأنت لكي نرى المشهد ونُتابع الأحداث ولكن

من بُعد من أعلى أعالي العماد .

فهل أنت مستعد الآن للانطلاق ؟

حسنًا ..

إنطلق

زمن هود عليه السلام

إنتهى الطوفان ونزل نوح ومعه المؤمنون إلـى الأرض المباركـة بعـدما استقرت السفينةُ على الجودي وبـدأ الموحِّـدون فـي ممارسـة حيـاتهم الطبيعية في الأرض بعد أنقطـاع الحيـاة عليهـا طـوال مـدة الطوفـان . وكـأن الأرض قـد إشـتاقت إلـى بنـى آدم لكـي تبـدأ فيهـا رحلـةُ البنـاء والعمران مـن جديـد فإتسـعت الزراعـة وإنتشـر العمـران وتكـاثَرَ البشـر وإختلفت اللُّغات بعدما كـانوا أمـة واحـدة فسـافروا وهـاجروا وتـاجروا وتصاهروا ، وبدأت مرحلة التوسُّع والإنتشار في الأرض ولكـن ظـل هـذا الجيل الذي نجـا مـن الطوفـان مـع نـوح عليـه السـلام فـي ذاكـرة كـل الأجيال التي جاءت مـن بعـده . فعظمـوهم وبـالغوا فـي تعظيمهـم إلـى درجة المبالغة نفسها الـتي فعلهـا قـوم نـوح مـن قبـل ، عنـدما عَظمـوا أولئك الرجال الخمسة .

هل مازلتَ تذكرهم ؟

فعل قوم هود ما فعله قوم نوح كأن البشر أبدًا لا يعون الدرس ولا يُدركون حقيقة الوجود التي ما خلقهم الله إلا من أجلها .. فبالَغَ الناس في تعظيم أجدادهم الناجين من الطوفان ومع تتابُع الأجيال صَنَعَ الأحفاد تماثيل للناجين من الطوفان ليتذكروهم بها وتطوَّر هذا التعظيم جيلًا بعد جيل إلى أن انقلب إلى عبادتهم وظهر بعد وفاة نوح عليه السلام بأكثر من 750 عامًا رجلٌ يُسمى (عادًا) وتُنسب إليه قبيلة عاد الأولى وهم أول من عَبد الأصنام بعد رحلة الطوفان العظيمة وهم كانوا عربًا مُكوَّنين من ثلاث عشرة قبيلة . ظلموا العباد وقهروهم بسبب قوتهم .. كان قوم عاد يسكنون مكانًا يُسمى الأحقاف وهي صحراء تمتلئ بالرمال وتطل على البحر ومساكنهم كانت قصورًا وخيامًا كبيرة لها أعمدة شديدة الضخامة والإرتفاع وكانوا أعظم أهل زمانهم في قوة الأجسام .. فقد أعطاهم الله بَسْطةً في كل شيء فأنشؤوا القصور من أفخم أنواع الحجارة وأضخمها في ذلك الزمن ، وأطلقوا على مدينتهم اسم (إرم) .

أعطاهم الله القدرة على قَطع الجبال وحملها لكي يصنعوا الأعمدة، والأبنية، فأنشؤوا مصانع لصناعة القطع الحجرية المتساوية، ومزارع فيها من كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته الطبيعية ، ولما رأوا قوتهم ومقدرتهم التي فاقت غيرهم من الأمم فكروا في صناعة مَصلٍ يقيهم الموتَ ، ويجعلهم يخلدون في الأرض.

ماذا تقول ؟!! هل تعنى المعنى الحرفي لهذه الكلمة ؟ أم هي مجاز لتقدُّمهم ؟!! لا يا صديقي، فأنا أعني المعنى الحرفي للكلمة..نعم..فقوم هود هُم أول من فكروا في فكرة الخلود في الأرض بل وأنشؤوا المصانع من أجل هذا ، فتدبَّر معي أن شئتَ قوله تعالى :

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) .

أظن أنها معلومة جديدة عليك أليس كذلك ؟

لابد أن تعرف يا صديقي أن كل من ينادي بفكرة الخلود وينفي وجود يوم القيامة الآن هو فقط نسخة مستحدثة لما فعله أجدادنا في الماضي ..

فهل ترى لهم من باقية ؟

عاش القوم في رغدٍ شديد ، وتَرفٍ لم يسبقهم إليه أحدٌ من العالمين .. ولِمَ لا وهم سادة الأرض وأقوى بني الإنسان ، وجبابرة العالم في هذا العصر وتلك الحِقبة من تاريخ العرب البائدة.تلك القوة التي لم يقدر أحد من الأقوام أن يجاريهم أو ينازعهم عليها، مهما تكن درجة عظمته .. ولكنهم لم يشكروا ربَّهم على هذه النعم العظيمة ، بل أشركوا بالله تمامًا ، كما فعل قوم نوح - عليه السلام - من قبل .. فقوم نوح عَبدوا مَن كان قبلهم من رجال صالحين، وهذا ما فعله أولئك القوم ، فعبدوا من نجا من الطوفان مع نوح ، وكان أشهرهم ثلاثة رجال (صد ، صمود ، وهرا) .

وهنا كان لابد من إرسال رسول إليهم لكي يُعيدهم إلى طريق الحق من جديد بعدما ضلوا، وتجبَّروا في الأرض بغير الحق .

أراكَ تتبسم الآن وتستبشر الخير في رحمة ربِّنا - عز وجل -بعباده حتى المشركون منهم. نعم يا صديقي فقد أخذ الله على نفسه العهد بألَّا يُعذب قومًا إلا بعدما يبعث لهم رسولًا منهم، يبلغهم آياته ويُلقنهم رسالته . ولذا أرسل الله لهؤلاء القوم رجلًا منهم، بل أخًا لهم، عاش بينهم، ولم يعهدوا منه غير الصِّدق وحُسن الخُلق ..إنه أول رسولٍ مُرسل برسالةٍ من الله إلى أهل الأرض بعد رحلة الطوفان العظيم.

إنــه (هود بن شالخ بن أرفحشذ بن سام بن نوح)

هل تلاحظ معي نَسَبَه الشريف ؟! فإن أصله يرجع إلى سام إبن نوح عليه السلام أي أنه من أصل العرب وهذا يعني أنه أول رسول عربي مُرسل إلى الأرض بعد رحلة الطوفان .

إنتظر ... لا تغلق الصفحات

ربما ستندم وربما سيفوتك الكثير فأنا لن أبقى معك طويلًا ولن أتحمل عناء حِمل هذا الإرث فوق كاهلي كثيرًا .

فقط أريد أن أَفُرغ كل الحقيقة بين يديك لأتحرَّر منها , ولأُخلِص

نفسي من هذا العهد وهذا الميثاق .

أقسم لك أنها تخنقني كل ليلة ..

أنام ما يقرب من الأربع ساعات فقط في اليوم وكثيرًا ما أصرُخ وحدي

وأنا نائم

فأنت لا تعلم عن حِمل الكلمة بين ضلوعك شيئًا

إنه عذاب لو تعلمون عظيم ..

أقسم لك أنني لا أحب السرد الطويل فربما لن تسمع عني بعد

اليوم .. فالحقيقة تموت مع صاحبها ، وأنا دائمًا ما أرى رحلتي معك

على وشك الانتهاء ، ولكنني وعَدتُك أنا أجعلك مختلفًا .. أجعلك مُدركًا

لحقيقة ما يدور من حولك .. أجعلك تُشاهد الأحداث وتُراقب المشهد

وأجعل منك خليفتي في الحرب .

نعم يا صديقي ..

هذه هي الحقيقة التي ما حملتك إلا لأجلها

فأنا ما حملتك لكي تكون مشاهدًا وفقط . ولكني حملتك بين الأزمان لكي أجعلك تعلم الحقيقة كاملة , فتتسلم من بعدي راية التوحيد في الأرض ..

أنا فقط تحسست ما كنت تتألم منه كثيرًا مثلي ، تحسست ما كان يؤلمك وأنت تُشاهد أولئك الملحدين الذين يملؤون شاشات التلفاز ويستعرضون كُفرهم على الملأ باسم حرية الرأي ..

أيُّ رأيٍ هذا الذي يُهلك صاحبه !!

وأيُّ أعلامٍ هذا الذي يُغيب العقل وينشُر الباطل !!

إنه إعلام الظلام ..

نعم يا صديقي

أُقسم لك أنه هو إعلام الشيطان في صورته الجديدة ..

فبالأمس كان يرتدى زي الخادم الذي يستحدث أنواعًا المُتع التي يُصيب بها غايته في إضلالهم

ثم زي الشيخ الورع الذي يُحيي لهم ذكرى موتاهم ..

والآن هو يرتدي زِيَّ الإعلامي الحُر الذي ينشر الكَذَّب ، ثم ينشره ، ثم ينشره ، إلى أن ينتشر .. فيعود الإسلام غريبًا مثلما جاء غريبًا .

والآن فلنكمل رحلتنا بعدما أتيت بك من مستنقع الملل السحيق .

إنطلق

دعا هود قومه بما فَتح الله عليه من نعمة الهداية له، والإسلام

بوحدانيته فقال:

(قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ)

فتعجبوا وقالوا :

(قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) .

وسخروا منه وقالوا : من أنت حتى تدعونا لما تدعونا إليه؟ فقال لهم هود عليه السلام :

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)

فاجتمع عليه عِليةُ القوم في سخريةٍ وإستنكار وما أشبه اليوم بالبارحة فبالأمس القريب كان في موضعه نفسه جدةُ نوح عليه السلام .

فقالوا لـ هود وهو يجادلهم :

(قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)

فرد عليهم هود عليه السلام :

(قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)

فقالوا له : عجبًا لك يا هود ! وكيف لك أن تكون رسولًا من رب العالمين ؟ ولماذا يُرسلك أنت ؟ ولم يُرسل لنا مَلَكًا كريمًا ؟! فرد عليهم هود عليه السلام قائلًا :

(أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

فردوا عليه في كِبرٍ مبين قائلين له :

(قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)

ثم ضحكوا جميعًا عندما اتهمه بعضهم بأن ما يعانيه من جنونٍ وسفاهةٍ إنما بسبب لعنة أصابته من أحد الآلهة ، وعليه أن يعود إليها حتى يُشفى مما هو فيه.فرد عليهم هود عليه السلام في قوة وتحدٍّ لم يعهدوه في أحدٍ من قبل.

(إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) .

قضى هود عليه السلام زمانًا طويلًا يدعوهم لطريق الحق والعودة والخلاص مما هم فيه، فآمن معه نفرٌ قليلٌ، ثم تتوالى السنون تلو الأخرى، وهود يدعوهم وهم يستكبرون،إلى أن تتوقف السماء عن المطر،وتجفُّ الأرض وهم أهل زراعة، فيهرول إليهم هود - عليه السلام – يا قومي ، ارجعوا إلى الله ، ما عاد في الوقت غير القليل، فيهينونه عليه السلام، ويقولون له : إنما نحن كافرون بما تدعونا إليه يا هود، ولا حياة لنا بعد الموت، إنما هي تلك الحياة، ثم نموت لتأكل الأرض أجسادنا ، فتدب الروح في أرحام أناسٍ سيخلفوننا من بعد موتنا إنما هي

أرحام تدفع وأرض تبلع وهذا تمامًا هو معنى الدهرية ..

هذا المصطلح البائد الذي يستخدمه الملحدون الآن فهذا أصله وهذا مفهومه :

(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) .

ولا نريد منك سوى أن تأتينا بما تُعِدُنا به من الهلاك والعقاب الذي نشكُّ في وجوده من الأساس ، فمن أكثر منا قوةً وأكثر منا غنًى حتى يقوى

على هلاكنا يا هود .. تعجَّب هود - عليه السلام - هو ومن معه من المؤمنين من هذا الإلحاد ، وهذا النكران المُبين ، فهم من نسل هؤلاء الناجين ، كيف لهم أن يفعلوا فَعلتهم هذه ، ولكن هذا ما حدث ، وهذا ما فعلوه ، ثم استعجلوا عذابهم في كل مرة كان يدعوهم فيها هود إلى التوحيد ، فكان فيهم من الشدة والغِلظة ما لم يكن في غيرهم من الأمم.. فهم لم يطلبوا منه آية كغيرهم من الأمم لتصديقهم له، بل قطعوا له كل السُّبل، وجميع طرق الدعوة للتوحيد، فكان جوابهم الوحيد:

(سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِيـنَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ).

عَلم هود عليه السلام أنه لا نجاة لهؤلاء القوم فرفع هود عليه السلام - يده إلى السماء ودعا ربَّه : (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) .

توقَّفت السماء عن المطر والأرض عن الزرع شهورًا تلو شهور ، وسنة تلو الأخرى إلى أن بارت الزراعات ، وأجدبت البساتين الغنَّاء ، فصارت

قاحلة صفراء ، وضاق الناس من هذا الجفاف الذي لم يألفوه من قبل ..

فهذا عامهم الثالث الذي لم تمطر فيه السماءُ ولو قطرة واحدة تروي

ظمأهم ، وتُنبت غرسهم؛ فقرروا أن يُرسلوا وفدًا منهم لكي يستسقوا

لهم ، وفدًا مكوَّنًا من سبعين رجلًا من خِيرتهم .. ولكن إلى أين

سيذهبون لطلب السُّقيا ؟ نعم ، إلى مكة المكرمة ، إلى بيت الله

الحرام .

لا تضحك يا صديقي، فالمشرك ولو أشرك، ففطرتُه تدُلُّه ، ونفسه عندما

تشعر باقتراب العِقاب تلهث وراء العفو .. فهذا هو حال المشركين على

مَرِّ العصور.

ذَهَبَ القومُ وعلى رأسهم رجل يُدعى (قَيلُ بن عِتر) إلى مكة وهناك

استقبلهم (معاوية بن بكر) فضيَّفهم في أرضه ثلاثين يومًا حتى ضاق

بهم ذرعًا . فكتب فيهم شعرًا وقال :

لعل الله يمنحنا غماما

فيسقي أرض عاد إن عادًا قد أمسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهم بخير فقد أمست نساؤهم أياما

وإن الوحش يأتيهم جهارًا ولا يخشى لعادي سهاما

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم تماما

فقبَّح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

هنا تذكَّر الوفد أنهم ما جاؤوا للإقامة ، بل لطلب السُّقيا . فنهضوا من يومهم إلى البيت الحرام لطلب الماء ، فإصطفوا جميعًا يتقدمهم (قَيلُ بن عِتر) طالبين المطر لأهلهم من قوم عاد .

إستجاب الله لطلبهم وأرسل إليهم ثلاث سحابات بيضاء ، حمراء ، وسوداء

أرى ملامحك قد اضطربت كثيرًا ، وتخشى أن ينالك ما سينال القوم من العِقاب أو نهلك معهم ونحن فوق أعالي العماد ، فلا تخف يا صديقي،فقَبل دخول السحابة سأحملك معي لنستمع إلى قصة تلك المرأة الناجية الوحيدة من قوم عاد ، والآن فلنُكمل :

سَمِعَ الوفد مناديًا من السماء يأمرهم أن يختاروا سحابة من السحابات الثلاث ، فإذا بهم يختارون السحابة السوداء ؛ لأنها أكثر السُّحب ماء .

هنا عَلم هود - عليه السلام أنه لابد له أن يجمع المؤمنين ؛ لكي ينجوا مما هو قادمٌ من هلاكٍ فدعاهم إلى الخروج .

وحملت الرياح السُّحب السوداء تجاه قوم عاد .

الآن الآن ..

اهبط معي إلى الأرض، فلا مجال للتحليق في السماء .. سنتبع طريق هذه المرأة التي تُهروِل للخروج من هذه الأرض فلو بقينا لحظاتٍ فسنموت معهم

هيااااااا ...

رأى القوم هذه الغيمة فاستبشروا وقالوا :

هذا عارض ممطرنا

ولكن كان لله - عز وجل قولا آخر فقال :

(بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)

توقف الآاان .. إنها هناك ..

وإذا بامرأة تُدعى (مَهدُ) رأت الغيمة وهي قادمة عليهم فشعرت بأن هذه السُّحب ليست كغيرها فأمعنت النظر فيما هو قادم من بعيد فرأت الشُّهب والشَّرر يتطاير منها فهرولت لتكون الناجية الوحيدة من قوم عاد وكأن الله يريد أن تنجو هذه المرأة لتُخبر عنهم .. خرجت مَهد من أرض عاد كأن هناك مَن يلاحقها فدخلت على قوم مجاورين لهم وهي تبكي وتنتحب وتخبرهم أنها رأت النار بأمِّ عينيها وهي تتطاير من الغيمة القادمة على قوم عاد وهنا سقطت (مَهد) من فورها صريعة . ماتت بعدما أخبرت عنهم ولكي يعلموا أن وعد الله حق وأن عذاب الله شديد .

ولكن تعالَ معي الآن لكي نُلقي نظرةً على ما حدث في عاد فلا داعي للوجود بجوار جثة هذه المرأة الآن .

هل سندخل عليهم القرية ؟!

بالطبع لا .

ولكن سنُشاهد من خلال هذه العدسات الرقمية .

سنصعد الآن فوق هذا الجبل ونثبِّت عليه هذه الكاميرا الذكية ونُشاهِد

ما يحدث .

فقط حاول أن تجعل زوم الكاميرا مرتفِعًا شيئًا ما , حتى نستطيع أن

نرى أكبر قدرٍ من الأحداث .

إنـظُـر ..

فقد دَمَّرت الريح كل شيء في المدينة وجعلته رميمًا ، ولم يبقَ إلا

بيوتُهم ومساكنهم ذات الأعمدة المرتفعة لتكون شاهدة عليهم . كانت

الريح ترفع أفراد القوم العمالقة الأشداء في السماء فتتباعد أياديهم

وأرجلهم ثم ترميهم على الأرض كأصول النخل بلا أعناق .

أي عذابٍ وأي إذلال هذا لهؤلاء القوم !!

لا تحزن عليهم يا صديقي فهؤلاء القوم قد حاربوا وحدانية الله في

الربوبية ..

فكان الجزاء من جنس العمل .

(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأرض بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُم عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) .

هاجر المؤمنون الناجون من قوم عاد مع هود عليه السلام - تجاه مكة المكرمة ، وعاشوا فيها فترة من الزمن وبين ظهرانيهم هود عليه السلام يُدبر لهم أمرَهم ويحثُّهم على عدم الاستهانة بما أمرهم الله من حُسن العبادة والطاعة والإيمان به وبوحدانيته سبحانه ، إلى أن مات هود عليه السلام . وخلفه الجيل الذي نجا من الريح ، فإنتشروا في الأرض ما بين مهاجرٍ ومسافرٍ ومتاجرٍ ومُقيم .. جيلًا بعد جيل ، وعقدًا بعد عقد ، وقرنًا تلو الآخر ، وهم يتناقلون جينات قوم عاد من القوة والغِلظة والشدة والجبروت ، فجابوا الأرض وطافوا بها إلى أن استقروا في منطقةٍ جبليةٍ وعرةٍ تقع شمال شرق الجزيرة العربية .

بالتحديد منطقة الحِجر بوادي القُرى بين المدينة المنورة وتبوك .. هنا

عاش قوم (ثمود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح) .

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا

تمامًا كأننا ما زلنا في أرض نوح عليه السلام . فالكفر مِلَّةٌ واحدة لا تتبدل ولا تتغير ، ولو اختلفت الأرض وإختلفت مسميات البشر

نجا الموحدون مع نوح حاملين معهم جينات الإيمان والعِظة مما حدث .

جيلًا تلو الآخر والجينات تقلُّ والشيطان يزأر في نفوسهم بالشرك إلى أن ظهرت عاد

ظهر الجيل الملعون الذي لم يعِ الدرس قط .

وها نحن الآن على أعتاب الدخول إلى الجيل الآخر

الجيل الذي حمل جينات الجبارين والمتكبرين في الأرض .

فهل ترى معي تلك السلسلة الجبلية الوعرة الواقعة في تلك الصحراء القاحلة هناك ؟

هنا شقُّوا حضارتهم في بطون الجبال .

هنا نُحتت أكبر حضارة في تاريخ البشرية .

أنت الآن تُحلق فوق سماء الفن بكل ما تحمله الكلمة من معنًى ..

أنت الآن تُحلق فوق سماء أكبر متحف حضاري للنحاتين في العالم .

فإستعد جيدًا إن كنت من هواة الرسم والنحت والتصوير

فأنت في حضرة الكبار

أنت في حضرة الأباطرة الأوائل .

صالح عليه السلام

لن أطلب منك الصعود معي أو الهبوط .. فالأمر لا يحتاج الى السفر الطويل أو الطواف .

فقط سنستدير لليسار قليلًا ونحن في أماكننا على هذا الجبل الشاهق وسنستخدم هذه الكاميرا الذكية ونُقرِّب عدسة الزووم قليلا حتى نتابع جملة الأحداث .

ولكن كُن مستعدًّا في أي لحظةٍ للإنطلاق ..

فقط سنجعلها محطة للاستراحة الإجبارية لي ولك فالطريق مازال طويلًا بل طويلًا جدًّا وبطول عُمر الأرض ..

وأنا أُقسم لك أنني تعبت من حملك طوال تلك الفترة البسيطة من عُمر دخولك في عالمي .

ولكنه العهد الذي قطعته على نفسي أن تحمل من بعدي راية التوحيد في الأرض وتُنير طريق الربوبية لغيرك حاملًا معك شعلة المعرفة لكي يتسلمها جيلًا آخر .. والآاان

أكشن

إنـه (صالح بن جابر بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح) عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

أُنظر معي إلى هذا التشابه في النسب بينه وبين ثمود ..

لا تتعجب يا صديقي فقد كان صالح عليه السلام أخًا لهم بالفعل ..

قال تعالى : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) .

فهو أخ لهم بالمعنى الحرفي للكلمة ولم يكن مُرسلًا لهم وحسب .

أعطى الله قوم ثمود قوة هائلة جعلتهم يشقون الجبال ويُفرغون ما في بطونها من صخور لكي ينحتوا مدائنهم بداخلها .. فبداخل بطون الجبال أقاموا حضارتهم العظيمة ومدائنهم العملاقة .. التي تُعرف الآن باسم (مدائن صالح عليه السلام) ، والتي ما زالت شاهدةً عليهم إلى الآن .

عاش القوم في حضارةٍ وقوةٍ وعزةٍ ورخاء فزرعوا الصحراء من حولهم ، وحفروا الآبار ، وربوا الأنعام وتاجروا ، وهاجروا ، وذاع صيتهم بين قبائل العرب .

بل تقدموا تقدُّمًا لم يسبقهم إليه قبلهم أحد في فن النحت والتصوير .

قال تعالى :

(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأرض تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأرض مُفْسِدِينَ) .

وبَعث الله لهم نبيه صالحًا لكي يدعوهم فقال :

(يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ) .

الكلمة نفسها التي يقولها كل نبي في بداية دعوته إلى الله ..الكلمة نفسها لا تتبدل ولا تتغير كما أن الحق لا يتبدل ولا يتغيَّر مهما تتغير الأحوال، ومهما تزداد الأهوال،ومهما تتغير القرى والمدن وتتوالَ الأجيال .

فوجئ الكبار من قوم صالح بما يقوله .. إنه يتهم آلهتهم بأنها بلا قيمة وينهاهم عن عبادتها، ويأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له.وأحدثت دعوته هزةً كبيرة في القوم.. وكان صالحًا معروفًافيهم بالحكمةوالنقاء

والخير،وكان قومه يحترمونه ويُبجلونه ويُقدرونه قبل أن يوحي الله إليه، ويُرسله بالدعوة إليهم، ولكن بعد أن دعاهم صالح إلى التوحيد، وتَرْك ما هُم فيه تبدَّل كل شيء :

(قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)

يا للمصيبة التي أصابتنا يا صالح ! فقد خيَّبتَ أملنا ورجاءنا فيك .. أتسُبُّ آلهتنا وتأمرنا أن نترك دين الآباء والأجداد ؟! ومع هذا يا صالح فلن نكفر بما جئتَ به ولكنْ .. هناك شرط واحد لنُصَدقك ، وهو أن تُخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ، لكنها ليست أي ناقةٍ يا صالح ، بل تكون ناقة عظيمة الخِلقة ، ذات طولٍ فارع وليست مُفردة و تكون ناقة عُشراء . هذا هو شرطنا الوحيد يا صالح ، وإلى هنا إنتهى ما بيننا من حوار حتى تأتينا بالبرهان القاطع، والدليل الساطع على ما تدعونا إليه.

فردَّ عليهم صالح عليه السلام :

أإذا فعلت ستؤمنون ؟

فقالوا له : نعم سنؤمن فلا شُبهة لنا بعد ذلك ولكن اصْدُقْنا نُصدقك .

فاعتزلهم صالح عليه السلام - وإختلى بنفسه ثم دعا ربهُ أن يُثبت لهم صِدق ما يدعوهم إليه حتى يقطع عليهم كل سُبل الكفر والضلال .

فاستجاب الله –تعالى- لدعاء نبيه صالح عليه السلام فجمعهم ذات يومٍ ، ودعا الصخرة أن تأتي بما فيها ، فإنشقت الصخرة عن ناقة عظيمة الخلقة لم يُرَ مثلها قط .. فقال لهم صالح عليه السلام :

(وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آَيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ)

اشترط عليهم صالح ألَّا يقربوا ماء الآبار والوديان يومًا ويقربوه يومًا بالتبادل مع الناقه وفي اليوم الذي لن يقربوا فيه الماء سيشربون من لبن تلك الناقة العظيمة كما أمرهم ألا يقربوها بسوء . فَقبلوا ما اشترطه عليهم صالح هذه المرة .

وعاشت الناقة بينهم في سلامٍ إلى أن وضعت ولدها وبعد كل هذا أسلم مع نبي الله صالح عدد قليل جدًّا من قومه ، وكان منهم زوج لسيدة من كبراء قوم ثمود وهي (صَدوف بنت المحيا) وكانت هذا

المرأة ذات حسبٍ ومالٍ ففارقت زوجها بعدما أسلم مع صالح عليه السلام وإستجاب لدعوته . فذهبت إلى ابن عمِّها (مصدع بن مهرج بن المحيا) وعرضت عليه نفسها مقابل أن يذبح تلك الناقة فقَبل مصدع دعوتها .

هناك على مرمى البصر في أطراف المدينة تسكن امرأة عجوز طاعنة في السن , شاردة البال , نحيلة الجُثة وقد امتلأ وجهها بالتجاعيد حتى صار من العسير أن تُحدِّد لها عمرًا .

كانت هذه المرأة كافرةً وتكره نبي الله صالحًا كُرهًا جَمًّا فإستدعت في بيتها أشقى بني آدم مُنذ خَلق الله الأرض ومن عليها وهو (قُدار بن سالف) وعرضت عليه بناتها الأربع مقابل أن يذبح تلك الناقة .

فتحالف مصدع بن مهرج مع قدار بن سالف على ذبح الناقة .

ثم تمُر الأيام تلو الأيام وهُم لا هَم لهم سوى إثارة الناس لكي يقضوا على الناقة إلى أن استجاب لدعوتهم سبعة رجال من قومهم فصاروا بذلك تسعة رجال ..

قال تعالى : (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرض وَلَا يُصْلِحُونَ) .

سعى هؤلاء الرجال بين القوم بضرورة عَقر تلك الناقة ، فطاوعتهم غالبية القوم واتفقوا معهم على ذبحها جِهارًا . فخرجت النساء من جهة اليمين ، والرجال يتقدمهم مصدع بن مهرج من جهة اليسار ، فرماها بسهمٍ فأصابها فسقطت ، فتقدَّم أشقى من حملت الأرض كما قال الله (إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا) وهو (قَدار بن سالف) فذبحها الشقيُّ لتسقط الناقة على الأرض مُصدرة صوتًا قويًّا جدًّا تُحذر فيه صغيرها من عدم الإقتراب ثم ماتت من فورها..

سمع ولدها ذلك الصوت فعلم أنهم فعلوا فَعلتهم التي نَهاهم عنها صالح عليه السلام فأسرع بالهرب وصعد إلى أطراف المدينة ، ثم زأر ورغا ثلاث مرات قبل أن يلحقوا به هو أيضًا ليقتلوه .

عَلم صالح بما حدث من أمر عقر الناقة وما كان من أمر ولدها فخرج عليهم وقال : لِمَ فعلتم هذا يا قومي ؟! ألم أنهكم عن قتلها ؟ فأجابوه من فورهم :

(وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) .

فقال لهم نبي الله صالح عليه السلام :

(فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) .

ثلاثة أيام كانت الفاصل بينهم وبين العذاب .. هنا أخذتهم العزة

والجبروت وقرروا أن يلحقوا صالح بالناقة وإتفقوا على قتله هو أيضًا .

قال تعالى :

(قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ

أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) .

هنا ترك صالح عليه السلام تلك الأرض في الليلة نفسها،ومعه من آمن

به وبدعوته..فخرج وراءهُ بعض الرجال يريدون قتلهُ ومن معه ، ولكن

مكروا ، وكان مكرُ الله شديدًا . فأصابهم وابل من الحجارة المُسوَّمة

التي رجمتهم جميعًا ليلقوا مصرعهم دون إستثناء .

أصبح القوم في اليوم الأول من أيام المُهلة الثلاث ، وكان يوم الخميس

ووجوههم مُصفَّرة ، ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام النَّظرة وهو

يوم الجمعة ووجوههم مُحمرَّة ثم أصبحوا في اليوم الثالث والأخير قبل

وقوع العذاب وهو يوم السبت ووجوههم مُسودَّة ، فلما كانت صبيحة

يوم الأحد ، وبعد شروق الشمس مباشرةً كانت الصيحة التي أهلكَ اللهُ

بها قوم ثمود . فكانت صيحة في السماء ، ورجفة في الأرض ولم يكن

لها تكرار بل كانت صيحة واحدة كما قال تعالى :

(وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) .

أصبحوا في دارهم أجسادًا لا روح فيها إلا امرأة ورجلًا ..

فكانت تلك المرأة قعيدة وهي (كلبة بنت السلق)

فلما حدثت الرجفة انطلقت تلك المرأة تَسعى وقد شُفيت

فإذا بها تَسعى بكل ما أوتيت من قوة ناحية حيٍّ من أحياء العرب

المجاور لقوم ثمود ، وأطلقت صرخاتٍ مُدويةً سمعها القوم ، فالتفوا

حولها ، فقصَّت عليهم ما كان من أمر قومها ، وعندما أفرغت ما أنجاها

الله من أجله وهو التبليغ عنهم استسقت القوم ، فلما شربت ماتت

ولحقت بقومها .

وأما الرجل فكان يُدعى (أبا رغال) وهو رجل من قوم ثمود ، كان في

بيت الله الحرام عند وقوع العذاب ، فمنعه حَرَمُ الله عذابَ الله ، لكنهُ لما

خرج أصابه ما أصاب قومه ، فبقي في مكانه إلى أن واراه الترابُ ، ومعه غصن من ذهبٍ ، فبقي هذا الغصنُ معه إلى أن مَرَّ النبي محمد - صلوات ربي وسلامه عليه - وهو في رحلته إلى الطائف ، فأخبر الصحابة بأمر ذلك الرجل فبحثوا عن الغصن فأخرجوه .

هلكت ثمود، ولكن لم تهلك حضارتهم، فظلت إلى اليوم باقيةً تشهد لهم وعليهم.وخرج صالح - عليه السلام - مع البقية الباقية من الناجين من قوم ثمود ،ممن آمنوا به، وبرسالته إلى أن توفَّاه اللهُ .

أرض الكلدانيين

قبل أكثر من أربعة آلاف عام .. كانت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء ..

كل شيء كان طاهرًا شديد النقاء إلى حدِّ اللَّا حَد

وكانت عاصمة الدنيا وقِبلة العلم وبلاد الحضارة والفن والعلم تتأهب للإحتفال .

فمرحبًا بك يا صديقي مرة أخرى في بابل .. أرض السحر والجمال والفن والمعمار

لذا فتمتع معي بهذا العُرس البهيج .. فأنت في احتفالية لم تشهدُها الأرض من قبل ولم تسمع عنها الدنيا من بعيدٍ أو من قريب .

ولكن إعلم أولًا طبيعة بابل الخلابة في ذلك الزمان .. فالجبال الخضراء والسهول الصافية تتداخل في منظر هو الأروع على الإطلاق مع القصور البابلية الفاخرة ، والرسومات المُبهرة التي تملأ الجدران وتُزين الطرقات

وإستنشق معي أوراق الزعفران والياسمين والورود التي تملأ شوارع بابل و التي يرميها الخدم والعسكر في كل مكانٍ وفي كل الطرقات المؤدية إلى قصر الملك (كنعان بن كوش) .

الجميع تراهُم الآن قد تَركوا أعمالهم وبيوتهم ونزلوا لكي يباركوا لملكهم قُدومَ وليِّ عهدِه الذي إنتظر قدومه لسنواتٍ طوال . إنه هناك يستقبل ضيوفه الذين قَدموا إلى أرضه من كل مكان . وما دامت هي إحتفالية فسنرتدي أنا وأنت هذا الزِّي الفاخر الذي يملأ شوارع المدينة ، ويُوزِّعه الخدم في الطرقات والحانات وسندخل معهم للإحتفال .

ولكن إعلم ..

ففي حياتِنا مناطق يجب أن تبقى في الظلام والويل كل الويل لمن يُسلِّط عليها الأضواء بيديه

لكننا تعاهدنا على السير معًا مهما تكن الأهوال والصِّعاب .. فإذا دخلت معي فلا مجال للتراجُع مهما تكن الأسباب ومهما تكن مبررات الانسحاب .

فإذا رآنا فسيعرفُنا وسيلاحقُنا في اليقظة قبل الحلم وفى الخفاء والعلن ..

أقسم لك أنك ستراه بأمِّ عينيك

سترى الشيطان بداخل هذا القصر يحتفل دون أي مبالغةٍ مني في الكلام ..

فأنا أعني المعنى الحرفي للكلمة

فـــــــ (الشيطان ينتظرك بالداخل) .



هناك على جانب القصر نِساء ينثرن أوراق الزعفران ، ويفرِشن الودع الأزرق في طُرقات القصر منعًا وطردًا للأرواح الشريرة ومعهن بعض الشياطيين يعملون معهن وهم يضحكون ويَلوٌون رؤوسهم كأنهم ثعابين تتأهب للرقص على جثث موتاهم ..

وهناك الطفل الذي على شرفه أُقيمت تلك الاحتفالية المهيبة .

إنه هناك راقدًا في ذلك الهودج المُطرز بالذهب والياقوت واللؤلؤ وبعض الأحجار الزرقاء نادرة الوجود يبتسم لك .. إنه الجمال والفتنة والشر والنقاء مُجسدًا في صورة طفل ، ومن حوله الكثير من الخدم الذين يهتمون به وبأمِّه الملكة المعظَّمة (أوداج) .

وهناك في وسط القصر وقف إبليس في صورة شخص مُتملق يُعظم ويفخم من قوة الملك كنعان بن كوش وحكمته وسطوته ، ثم خطب في الناس وقال :

(أيها السادة الأشراف ..الأمس قد انتهى وزال ، واليوم نحتفل بالمولود الجديد للملك كنعان العظيم ، المولود الذي ستتغير على يديه

موازين الظهور والإختفاء ، المولود الذي ستُصاحبه في الخفاء والعلن ..

سنراه ويرانا ولأجله سنخوض حروبًا عِظام ، حروب الوجود في الأرض ..

سنُطفئ لآجله كل مشاعل النور حتى تَطول عصور الظلام . رحِّبوا معي

بسيدكم وإبن سيدكم ، رحِّبوا معي بـــــ (زاهاك العظيم) .

صفَّق الجميع في سعادةٍ عارمةٍ ، وبدأت الجاريات يرمين الورود

والزهور والهدايا من شُرفات القصر، فبدأ الجميع يتدافعون للحصول

على هدايا الاحتفال، وبدأت الشياطين تتراقص في صورة جوارٍ حِسان ،

فلم يهتم أحد باسم سيدهم الجديد الذي إختاره له ذلك الرجل الآن ، ولا

بعصور الظلام التي سيغرقون فيها عن قريب ولكن العجيب أن هذا

الاسم كان له معنى غريب في اللغة البابلية القديمة ، فكان يعني

الثعبان اللاسع .. وكأن إبليس قد إختار له اسم معاونه العظيم الثعبان

اللاسع حتى يكون له نصيب من إسمه .. مثلما سنرى .

كانت هذه هي البداية فَحسب ....

ما هذا الدُّوار الذي أَلَم بِنا وبالقصر !

ماذا يحدث هنا بالضبط !

أي طفل ملعون هذا الذي تحتفل بقدومه الشياطين !

إن قلبي يكاد يخرج من بين ضلوعي

الأحداث تتغير ووجوه الناس مازالت لم تتغير

ليتني لم أُطاوِعْكَ أو أدخل معك إلى هذه الأرض من الأساس

تراتيل ، تسبيحات ، فحيح ، عُري ، ضحكات ، صرخات ، دوار ، طواف ،

إغماء ، سقوط ، ثم ..

مئة عام بعد ولادة النمرود، أقصد زاهاك العظيم .



تراه هناك في هذا المسبح العظيم تلُفُّهُ من هنا وهناك الحسان من النساء العاريات على الدوام ، واللواتي لم يخلُ القصر قط من وجودِهنَّ يومًا .

ولكنه يترك كل هذا ويتجه إلى ذلك الممر الضيق أسفل القصر العظيم .

تراهُ يمد الخُطى وُيسرع في السير كأنه على عجلةٍ من أمره أو كأن هناك شخصية مهمة تنتظره بالداخل .

فمن عساه سيقابل هناك ؟

هذا ما سنراه

الآن سنهبط أنا وأنت وراءه لكي نرى ماذا يفعل هذا الملعون في الخفاء .

أُنظر .. أٌنظر ..

هل تراه ؟

نعم .. فنحن نتبعه يا رجل !

لا .. ليس زاهاك

بل هذا الذي يجلس فوق النار وتلفُّه الثعابين من كل إتجاه .

ذلك العجوز الهَرِم الذي يتمدد هناك على أريكته النورانية ومن حوله

إصطفت مخلوقات لا صفة لها غير القبح والشذوذ .

بعضهم يغطيه الشعر , وبعضهم أصلع تمامًا ..

بعضهم عمالقة بالغو الطول , والبعض الآخَر أقزام مشوهون تمامًا ..

بدأت الآمور تتضح لي ببطء إلى أن رأيته ..

أنه هووو .. هوووو .. إنه إبليس



جبل دنباوند

الفحيح يملأ الجبل ورؤوس الثعابين تخرج من كل مكان وهناك في قمة الجبل يجلس فوق عرش عظيم ، ومن حوله ثعبانان عظيمان يحملان فوق رأسيهما نارًا عظيمة ، ويخرجان من أفواههما ألسنة تطوق الجبل من جميع الجهات.

رُفع النمـرود إلـى سـفح الجبـل فانطفـأت النيـران وإختفـى الثعبانـان وهبط العرش العظيم، وإذا بكيـان لا يُـرى وجهُـه مـن ظهـره مـن طـول شعره الذي قـد لامـس الأرض وإفـترش المكـان ، وسـمع النمـرود صـوتًا يُشبه صوت الفحيح يقول :

إقترب مني يا رفيقي .. إقترب .. فلقد إخترتُك أنت من بين آلاف البشر ، إخترتُك أنت من بين رجال الأرض جميعًا ، إخترتُـك لكـي تُحكـم قبضـتك

علـى بنـي الإنسـان وتكـون أول بشـري يتعلَّـم سـر المـاجي ، المـاجي العظيم الذي سيطوي لك الـدنيا ، وسيُخضـع لـك نفـوس جميـع البشـر ، إخترتُك أنت لا غيرك

وحـدك أنـت يـا زاهـاك مـن سـيراني ويسـمعُني ويعرفُنـي بصـورتى .. أسماء عِدة عُرفت بها على مَر الزمان فالبعض أسماني " إبليس " وهـذا لأننـي أبلسـتُ أي : يئسـتُ مـن رحمـة ربـي . والبعـض أسـماني " بعلزبوب " أي : رب الذباب وهذا لأنني في أول عهدي لم يتبعنـي غيـر المخلوقات الدنيئة . ثم أسموني " سيتان " الـذي تطـور بفعـل الزمـن إلى " شيطان "

ولكن .. عليـك أن ترانـي دون خـوف ، وتخضـع لـي وحـدي دون غيـري ، وتأتمر بأمري وتنتهي عمَّا أنهاك عنه .. أنت حليفي وأنا سأُعطيك ما لم يُعطَ ملِك قبلك ..

فهل ستُطيع يا زاهاك أم تُراك ستخشى رؤيتي ؟ .

لا تترك لعقلك فرصه التفكير طويلا .. فقد إخترتك .

قَبِـل زاهـاك التحـالف مـع إبليـس ، فكشـف إبليـس اللعيـن عـن وجهـه الحقيقـي ، فـرأى النمـرود إبليـس فـي صـورته الحقيقيـة .. رأى لَعيـنَ الأرضِ مَلعـونَ السـماء ، وكـان هـذا أول تحـالف يحـدث بيـن الإنسـان والشيطان على وجه الأرض .

بعد تلك الحادثة دَبر النمرود بصحبة حليفه الجديد حادثة إغتيال لأبيه الملك كنعان إبن كوش لكي يستولي على العرش ، وكانت هذه أول حادثة إغتيال تحدث في تاريخ البشريه .. وبعد حادثة الاغتيال مباشرةً توجَّه زاهاك إلى قصر الحُكم ، ثم صعد إلى العرش ، ومعه معاونه وحليفه الجديد الذي رأهُ يقترب منه ، ثم همس في أُذنه بالفحيح قائلًا :

(نحن ملوك الدنيا .. المالكون لما فيها ، فتبسم النمرود لمَّا سمع كلماته ، وعَلم مقصده) .

كانت المملكة الآشورية في ذلك الزمان مُنقسمة إلى سبع ممالك ، ولكن بعد مجيء النمرود إلى الحكم ، خاض الحروب من أجل ضمِّها لكي تكون تحت سيطرته ، وقد كان..وصار النمرود ملك ملوك الأقاليم السبعة .

كان الناس في ذلك العصر منقسمين في عباداتهم ، فمنهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد الشمس ، ومنهم من يعبد النمرود نفسه ، ومنهم من يعبد الكواكب والنجوم وهؤلاء كانوا يُمثِّلون الجيل الجديد الذي خرج عن إطار الموروث بعض الشيء ، فقد اختلفوا في العبادات ، ولكنهم اشتركوا في الضلال ، ولذلك كان لابد من وجود رسول ليس فقط مُبلغًا برسالة التوحيد ، بل مُقيمًا للحجة والمنطق الفكري ، وإستعمال العقل في التدبر ، وإكتشاف الخالق الأوحد .

إنـــــه ..

إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام هو أول من استعمل العقل في استكشاف الحق، ومعرفة الخالق الأول في الكون .

عاش (إبراهيم بن آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح) .

في حاله من التشكك والتخبط في معتقدات أولئك القوم مابين عباداتهم المختلفة ، وتوجهاتهم المتشعبة فعاتب إبراهيم أباه وقومه على عبادة تلك الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع :

(وَإِذْ قَالَ إبراهيم لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أصنامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

ثم خرج عليه السلام ليلًا باحثًا عن الحق ، وطامعًا في هداية الله له ،

فخرج مولياً وجهه إلى الظواهر الطبيعية في الكون :

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ).

(فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ).

ظَلَّ إبراهيم- عليه السلام - هكذا حتى بزغت شمس الحق أمامه فقال:

(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)

تبرَّأ إبراهيم- عليه السلام - أمام الجميع من أوثانهم وعباداتهم ومعتقداتهم وموروثاتهم في العلن ، وقد كان مازال شابًّا في مقتبل عمره : (وَلَقَدْ آتَيْنَا إبراهيم رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ)

كَفَرَ إبراهيم بكل دينٍ يخالف دين الفطرة السَّوية ، والمنطق ، والعقل ، والدليل ، والبرهان ، وتوجه لمن خلق كل شيء ، الخالق الأول الذي لم يُخلَق ، الباقي الذي ليس له زوال ، الواحد الذي لا يُشرَك في عبادته ثانٍ ، توجه إلى الواحد الدَّيان وقال:

(إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

علم الناس بأمر إبراهيم - عليه السلام - فكذَّبوه وصدَّقه إثنان , وهما (لوط بن هاران وزوجته سارة) .

نَزَلَ أمين وحي السماء حاملًا رسالة التكليف على الخليل إبراهيم عليه السلام فخرج فيهم داعيًا وقال :

(إِذ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)

فردَّ عليه قومه قائلين : (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ)

فردَّ عليهم فقال : (قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

فاستشاطوا غضبًا فردُّوا : (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ)

فقام عليهم بالدليل فقال:

(قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ).

كذَّبه قومه ، ولم يسمعوا لِما يقول ، واستمروا في تقديم الطعام للآلهة ، وتقديم العطايا والهدايا لها ، فصرخ فيهم إبراهيم بعدما فاض بهم ذرعًا ، وبعدما نفروا منه كُرهًا فيما يدعوهم إليه ، وطغيانًا من عند أنفسهم ، وتكبرًا في الأرض بغير الحق ، وخوفًا من البطش والعقاب من أولئك الطغاة الذين لا يخلو منهم مكان ولا زمان مادامت السماوات والأرض ..

فإستشاط إبراهيم عليه السلام غضبًا من أولئك الطغاة فقال في نفسه :

(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أصنامكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ).

أقسمَ إبراهيم عليه السلام أنه لن يترُك هذه الأصنام تُعبد من غير الله في الأرض . وكيف لا وهو الخليل المُصطفى والوريث الشرعي لحمل راية التوحيد بعد رحلة الطوفان العظيمة التي ضربت الأرض ؟

فمن نسله سيأتي الأنبياء . وعلى يديه ستُهدم حضارة الظلام . وسيبكي الشيطان كما لو أنه لم يبكِ من قبل ..

إنه النبيُّ الذي أخبرت عن مولده الشياطين ، فأمر النمرود أن تُقتل كل المواليد حتى يستريح من تلك الكوابيس التي أصبحت تُراوده في صحواته ومنامه .. ولكن أمُّ الخليل إبراهيم قد أخفته عن الأنظار مثلما أخفت نفسها حتى لا ينكشف أمْرُ حِملِها به حتى بلغ من العمر مبلغهُ . وذات يوم يدخل آزر على الخليل إبراهيم يدعوه للذهاب معه للأحتفال بيوم عيدهم (عيد الربيع).

فيَدَّعي إبراهيم عليه السلام أنه سقيم ولا يستطيع أن يذهب معه للأحتفال ، فتركه أبوه ثم إنطلق ..

خرج إبراهيم عليه السلام مستخفيًا متجهًا ناحية معابدهم التي يعبدون

فيها هذه الآلهة المصنوعة ، ومعه فأسه فوجدها في بهوٍ عظيم ..

موضوعًا لها أجود أنواع الطعام بين أيديها ؛ لأنهم ربما سيتأخرون في

الأحتفال .. فتبسَّم الخليل - عليه السلام في سخريةٍ من هذه الآلهة

التي ربما ستجوع فتأكل ، ثم قال لهم :

(أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ)

رجع القوم فوجدوا ما حدث لآلهتهم من دمار شديد ، وذُلٍّ مُهين ،

فنظروا إلى بعضهم البعض مُعاتبين أنفسهم على تَرْكِ الآلهة منفردة ،

وإذا بجماعة منهم يقولون :

(قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبراهيم) .

فأجمعوا أمرهم في التوِّ على عِقاب إبراهيم والتنكيل به أمام

العالمين :

(قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) .

أرسلوا شِرارهم فأتوا بالخليل إبراهيم على عيون الأشهاد وقالوا :

(قَالُوا أأنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إبراهيم قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)

فنظر القوم إلى كبيرهم الذي لا يُبالي ولا يستطيع النطق ولا الحراك

فما هو إلا قطعة من الحجارة الملقاة ، فردوا عليه في حيرة قائلين :

(لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) .

فردَّ عليهم فقال :

(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ

وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

غَلَبَهم إبراهيم بالمنطق والحوار في بضع كلمات ، فما كان أمامهم

سوى إستخدام البطش والقوة والعذاب والتنكيل ، فهذا هو حال

المجرمين دائمًا عندما تفترسهم العقول الرشيدة وتبتلعهم الفطرات

النقية ..

كل هذا وإبليس يتابع المشهد ويُحرك الأحداث ، فهو يعلم جيدًا ما هو مُقبل عليه على يد إبراهيم . فيذهب ناحية اليسار فيهمس لهم أن يقولوا :

(حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) .

ثم يُحلق فوقهم من ناحية اليمين ويعرض لهم الفكرة رأي العين :

(ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) .

إلى أن استقروا على العقاب الذي سيَشفي ما في صدورهم من غضبٍ ، وهو حَرْقُ الخليل إبراهيم في النار .

عَمد القوم إلى أرضٍ واسعة ، وبدؤوا في جلب الأخشاب والحطب ، وما يمكن أن يساعد على حرق الخليل إبراهيم ، وإستمروا على هذا الأمر قرابة الشهر ، حتى أن المرأة كانت إذا مرضت تقيم النذر على نفسها إنها إذا تعافت مما هي فيه فستحمل من أقصى المدينة ما يٌساعد على حرق الخليل إبراهيم .

ظَلَّ الأمر هكذا إلى أن شيَّدوا محرقةً هائلةً ، فساووها حتى يروا الخليل وهو تُضرم فيه النار فتشفي النار ما في صدورهم من نقمةٍ عليه وعلى ما اقترفه في حق الآله المكلومة كل هذا على مرأى ومسمع من النمرود .

صدر الأمر بإضرام النار في الحطام والخشب المُهيَّأ للحرق ، إلى أن توهَّجت وأرتفعت حتى رآها من هو في أقصى المدينة فلم يقدر أحد على الأقتراب منها لكي يُلقى فيها الخليل إبراهيم ، فكانت هذه عقبة أمامهم .

فإذا برجل يُدعى (هيزن) من أكراد العراق الذين كانوا يعيشون في أطراف المدينة .

إذا به يأتي إليهم حاملًا على كَتفه كِفَّةً عظيمة من المنجنيق تلفُّها أحبال شديدة القسوة ، موضوعًا في آخرها فتيل طويل لأجل إشعال النيران فيه ، فتنطلق الكفة لتسقط في منتصف المحرقة .. فإذا بالجموع تفترق لكي يَعبُر الشيطان أقصد هيزن من بينهم ، ثم يضع

كفة المنجنيق على الأرض فيتكالب الناس على الخليل إبراهيم

فيحملونه عليها وهو يردد : (حسبُنا الله ونعم الوكيل) ..

ثم يشدون وثاقه فيها , فيأمر هيزن الناس أن تبتعد قليلًا عن مكان

الإطلاق ، ثم يأتي بشعلة نار من جذع شجرة موقدة ، فيضرم النار في

الفتيل فتنطلق قذيفة المنجنيق حاملة معها الكفة المثبت عليها الخليل

- إبراهيم عليه السلام - في السماء ناحية المحرقة وإذا بـــهيزن

تُخسف به الأرض فتبتلعه ليُعذب فيها إلى قيام الساعة

(يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إبراهيم)

عَلت كِفَّة المنجنيق حاملة معها الخليل إبراهيم- عليه السلام - ناحية المحرقة العظيمة التي أقامها له قومه عِقابًا وعذابًا لما اقترفه في حق آلهتهم .

ولكن ليس الأمر هكذا يا صديقي ..

فإن الخزي لا يعرف طريق الصالحين مهما تتكالب عليهم أراذل القوم وأعلاهم .

فهناك جبريل ومعه ملك المطر يطلب من إبراهيم أن يدعو ربَّه حتى يُنزل المطر لتخمد النار . فيأبى الخليل حياء من الله أن يطلب ..

فيقول له جبريل عليه السلام : يا إبراهيم ، يا خليل الرحمن

ألَك حاجة فأقضيها لك إن شئتَ ؟

فيرد الخليل إبراهيم في ثقة هي دائمًا حال الذين هُم مع الله :

(أما إليك فلا ، فإن معي ربى سيكفينِ)

فالخليل يعلم تمام العلم إنما النار ما هي إلا جند من جنود الرحمن .

يسقط الخليل إبراهيم في النار فما يُصيبه منها غير حَرِّها ولم تأكل النار منه سوى تلك الأحبال التي رَبَطَها قومُه حتى يستقيم على كفَّة المنجنيق ..

لتتحول النار بأمر ربِّها إلى جنةٍ يراها كل مَن حضر مشهد حرق إبراهيم الخليل .

وإذا بآزر أبي الخليل إبراهيم يقول في مشهدٍ طالما حفلت به كتب المؤرخين :

(نِعم الربّ ربُّك يا إبراهيم) .

سقط الخليل إبراهيم في النار أمام أعين الجميع ومن بينهم نبى الله لوط ، وزوجته سارة ، وأمُّه وأبيه وكل قومُه جميعًا . وإذا به عن يمينه وشماله خُضرة وثِمار ،كأنها روضة يسير فيها إبراهيم داعيًا ربه مسيرة أربعين يومًا هي عمر مكوثه في النار ..

قال فيها عندما سُئل عنها : (ما أطيب عيشي حين كنت فيها) .

كل هذا والقوم يتبادلون أدوارهم يومًا بعد يوم ويتساءلون في حيرة !

لماذا لا تأكل النار إبراهيم ؟!

أيُّ قوةٍ هذه التي تُبطل عمل النار ؟!

إنه يتنعم في النار كيف يشاء ونحن لا نستطيع أن نقترب منها من شدة حَرِّها !

قال تعالى : (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) .

خَمدت النار التي جمعوا لها شهرًا وأشعلوها ما زاد عن 40 يومًا

وخرج الخليل منها ولم يمسسه منها ولا من حَرِّها مثقال ذرةٍ من خردل . فإستشاط النمرود ذُعرًا وفزعًا وعلم تمام العلم أن كوابيس الأمس قد صارت واقعًا مريرًا سيحياهُ من الآن فصاعدًا .

فجمع مستشاريه لكي يشاورهم في أمر إبراهيم فأشاروا عليه بالمناظرة .

دخل إبراهيم على النمرود في مشهدٍ مهيب ، جمع فيه النمرود من

معاونيه الكثير ، غير واحدٍ خشي على نفسه أن يرى نهايته من جديد ،

خشيَ على نفسه أن يُشاهد بداية نهاية حليفةُ في الأرض .. خاف إبليس

فلم يُؤازر حليفه فى الحرب ؟

400 عام من الظلم قد وَلَّت وعليه فإن بداية 400 عامٍ من العذاب

قادمة .



سأل النمرود إبراهيم :

مَن ربك يا إبراهيم ؟

فأجاب ربي الله الذي يحيي ويميت .

فرد النمرود :

وأيضًا أنا أُحيي وأُميت يا إبراهيم

فأنا في يدي أن أقتل هذا وأترُك ذاك يحيا في سلام .

أليس هذا في يدي يا إبراهيم ؟

فقال إبراهيم :

فَربي يأتي بالشمس من المشرق ، هلَّا قد جئتنا بها من المغرب حتى نؤمن ؟

فَبُهت النمرود ولم يستطع نُطقًا .

فأنهى المناظرة من فورِه وأمرهم بأن يتركوه وحيدًا في خلوته .

إنفرد النمرود بذاته وقرَّر أن يذهب إلى هناك إلى حيث كانت بدايته ، إلى جبل دنباوند حيث مغارة الشيطان حليفه في غيابات التمرد ..

فإن كان الشيطان قد عصى أمْرَ ربِّه في أن يسجُد لبشر فالنمرود قد قال لهم : أنا ربكم الأعلى

بل قرَّر أن يبني له صرحًا مهيبًا مُكوَّنًا من 8 أبراج فوق بعضها البعض .

قاعدتها الرئيسية قد تجاوزت 92 مترًا . ملفوفًا بسلالم خشبية قد بناها في وسط المحراب العظيم للهيكل الأكبر . ويرتفع فوق هذه القاعدة برج آخر ، ويرتفع على هذا الأخير برج آخر حتى يصل العدد إلى

ثمانية أبراج . وقد بُني الدرج الذي يرقى إليه من الخارج بشكل لولبي يحيط بكل الأبراج   وتجد في وسطه محطة ومقاعد للإستراحة يجلس عليها الذين يرتقونه ليستريحوا .

و سُمي هذا البرج بـــ (صرح بابل العظيم) .



دخل النمرود إلى تلك المغارة التي تعلَّم فيها سر الماجي العظيم وقابله ، قابل حليفهُ ، قابله مرة أخرى لكنها كانت مغايرة تمامًا عمَّا سبقتها ، فهو اليوم غاضبا ساخطا على مَنْ وعده بالقوة ، القوة التي جعلت منه إلاهًا يرتعد منه البشر جميعًا عند ذكر إسمه ، وتتحارب قبائل بأكملها من الجن لكي تكسب قُربه ورِضاه .

ولكن ...

يأتي إبراهيم ليكشف حقيقته ، يأتي إبراهيم ليقول له ولشياطينه ولجُنده ولقبائل الجن التي هي معه : إنكم فناء في فناء ، وأنكم ليس لكم من أمركم شيء ، وأن ما تدعونه هو باطل ، وأنكم كاذبون مُدعون نهايتكم واحدة .

آمَنَ مع إبراهيم نفرٌ قليل من المستضعفين في مملكة النمرود برغم كل ما حدث أمام أعينهم ، خوفًا من بطش النمرود وقتله لهم ولأطفالهم ، وقرَّر النمرود أن يقتلع بذرة الإيمان من جذورها قبل أن

تُثمر في قلوب الخلق ، ويَكثُر أتباع الخليل إبراهيم ، فقرَّر أن يحاربهم جميعًا .

أرسل الله – تعالى إلى النمرود ثلاثة من الملائكة ، فكذَّبهم جميعًا وكان آخرَهم ملكٌ يُدعى (كاوي) .

دخل كاوي إلى قصر النمرود في هيئة رجلٍ يمتهن مهنة الحدادة . فلم يُبالِ به النمرود ولم يُعطِه بالًا إلى أن سمعه النمرود وهو يُغمغم بذكر الله

فإستشاط النمرود غضبًا وقال له : أيُّ إله هذا الذي تذكره في حضرتي يا هذا ؟!

فرَّد عليه كاوي أنه الله الواحد الأحد , الفرد الصمد , ربي وربك ورب العالمين

فإستشاط النمرود غضبًا مما يقوله ذلك العامل الفقير وقال له :

نهايتكم قد حانت ولحظة رحيلكم قد أوشكت ، وقد فاض كيلي ونفد صبري مما تَدعونهٌ من دوني ..

وبعزتي لن أبُقي لكم أحداً بعد اليوم

أذهب وأجمع جمعك ثم أئتني بهم على بصيرة من العباد

وسترى ماذا أنا فاعل بك وبربك ..

وأمر النمرود جُنوده أن يقرعوا طبول الحرب للمرة الأولى في التاريخ .

فرد عليه كاوي قائلًا : بل أجمع أنت جموعك وسترى كيف ستكون النهاية .



ثلاثة أيام كانت كافية للجمع ، وفي صبيحة اليوم الرابع ، ووقت طلوع الشمس مباشرةً سار النمرود بجُنده للحرب ، وإذا بالشمس قد غابت ، فهناك على مرمى البصر جنود ربك آتية ، لم يُرسل الله - عز وجل - ملائكته ولا عبادًا له أُولي قوة ، بل أرسلَ أضعف جنده وأصغرهم .. أرسل له جيشًا من الذباب ، فلا يعلم جنود ربك إلا هو .. فأباد الذباب كل

جيوش النمرود ، بل أكلها جميعها ، وشرب دماءهم وتركهم عظامًا بالية ، وأراد ربك أن يجعل منه عبرةً ؛ ليكون لمن بعده آية ، فإذا بذبابةٍ تــدخل في أنف النمرود لتمكث فيها فـترة تجـاوزت ال 400 عـام ، عـاش فيهـا النمرود ذليلًا مُهانًا ، فكان لا يهدأ من صراخه المتواصل إلا عندما يضـربه أحدُ جنوده بالحذاء على رأسه ووجهه . أنها قُدرة ربك التي تجـاوزت كـل حدود المعقول ، وقوته التي فاقت كل عتبات المستحيل .

ظَلَّ النمرود على هذا الحال من الخزي والعـار إلـى أن مـات ذليلًا مُهانًـا عن عمر قد تجاوز ال 800 عامٍ ، تجبَّر فيها وتكبَّر ، وتحالَف مع الشيطان ، وأباد القُرى والمُدن ، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء ، وأعلـن نفسـه فيها إلاهًا يَسوق مقدرات البلاد والعباد .

في هذه الأثناء هاجَرَ الخليل إبراهيم ومعه زوجته سارة إلى بيت المقدس ، ثم إلى اليمن ومنها إلى مصر ، بينما هاجر لوط عليه السلام ، وكان مازال شابًّا صغيرًا إلى الشام ، ثم استقرَّ به الحال في قرية تسمى سَدوم .

أسمعُك الآن تتساءل :

هل كان هناك بيت من الأساس حتى يُسمى ببيت المقدس ؟!

نعم يا صديقي .. كان هناك بيت لله يُسمى (بيت المقدس)

فهل مازلت تذكر معي حج آدم للبيت الحرام وطوافه بالكعبة ؟

فقد بنت الملائكة البيت الحرام بمكة ، وبعد أربعين عامًا فقط بَنت المسجد الأقصى بالأرض المقدسة بفلسطين .

أي قبل خَلْق سُليمان بآلاف السنين ... وكان بين إبراهيم وبعثة سُليمان ما يقارب الألف عامٍ .

أي إن وجود المسجد الأقصى يرجع تاريخه لزمن بناء المسجد الحرام وليس لزمن سُليمان كما يدَّعي بعض بنى جلدتنا .

فاحذر يا صديقي منهم ..

من أولئك المنتسبين إليك ..

من أولئك المبدعين في العُهر..

من أولئك الذين يملؤون الصفوف ويغزونك من خلال شاشاتهم السوداء ..

إنهم اليوم سيقولون لك نحن نشكُّ في رحلة الإسراء من الأساس .

فكيف لآخر نبي أن يزور مسجدًا وهو مازال لم يدعُ إلى الله في العلن ولم يتم بناء أى من مساجد المسلمين حينئذ ؟ فمن بناه إذًا حتى يصير مسجدًا للمسلمين ؟!

قل لهم :   وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا

إن الدين عند الله واحد لا تبديل فيه ولا تحريف

إن الدين عند الله الإسلام .

وإنتبه لأنهم ..

يريدون منك أن تشك ثم يأتي دوراً آخر لرجلٍ آخر فينفي قصة الإسراء من الأساس فتشعر كأن الأمر قد أصبح فيه آراء ، ثم يأتي رجل تحسبه من بني جلدتنا فينفي وجود البيت وعندها سيخرجون ليهدموه من الأساس ولن تجد أحدًا من أولئك يُحرم ما يفعلون .. وستجد مَن نفي وجود البيت هو نفسه من سيخرج عليك على الشاشة السوداء مرتديًا رابطة عنق أنيقة ونظارة للقراءة وأخرى للنظر .. فهكذا حال المفكرين الجهابزة دائما يا صديقي .. ثم يؤصِّل لك الأمر على أنه كان بناءً عتيقًا قد بُني في عهد نبي الله سليمان وعند وفاته قد إجتمع الجن الباقون وحفظوا كُتبهم من السحر الأسود بالقرب من البيت العتيق وما يفعله اليهود اليوم هو إكتشافات أثرية ربما تفيد البشرية عن قريب

ونحن ليس لنا - معشر المسلمين - في هذه الأرض مرجعية تاريخية ولا دينية ، من الأساس وأن المسجد الأقصى الذي تحدثت عنه الآية

الكريمة هو مسجد في أطراف المدينة المنورة ، وأن مشكلتُنا معهم

تكمُن في عدم فهم السياق

فإذا كنت في قلب المدينة ، أو في مكة المكرمة وهناك في أقصى الشمال بيت من بيوت الله فستقول إنه البيت الأقصى تمامًا مثلما قال :

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)

أُقسم لك أنهم سيقولون ذلك قريبًا بل قريبًا جدًّا ..

ولا تسألني كثيرًا أرجوك فبيننا الأيام وسترى بنفسك .. ولا تنسى أننى قد أخذتُ عليك العهد في بداية الطَّواف ألَّا تُرهقني من أمري عُسراً وفقط دعني أُفرغ بين يديك كل مراجع التاريخ التي طوفتُ بها جميعًا حتى أجمع صحيحها بين يديك لكي تَعي الدرس وتفهم حقيقة وجودك .

وأُقسم لك يا صديقي أنني ما خُنتك في أي عصرٍ عِشناه معًا

وأنني حملتُك بكل شرفٍ وتجرُّد وأمانة وقدمتُ إليك المشهد كما كان وكما حدث .



سافَرَ الخليل إبراهيم متجهًا إلى بلاد اليمن ، فوجد أهلها يرحلون عنها بعدما أصابها من الجفاف والقحط ما أصابها فهاجر منها متجهًا إلى مصر

وكان هناك حاكم ظالم يستحيي النساء ويقتل الرجال ويُبيد القرى ولا يدخل مصر رجل مع امرأته إلا وأصابها من عذاب الجسد ما يجعلها تقتل نفسها حياءً .

دخل إبراهيم عليه السلام مصر ، فسأله الجُند :

مَن تكون هذه المرأة ؟

أهي زوجتك ؟

فردَّ قائلًا : إنها أختي .

فأبلغوا السُّلطان بما قال ، فأمرهم بإحضارها وإبقاءهُ معهم .

دخلت سارة إلى قصر هذا الفرعون الظالم ، وكان يُدعى (سِنان بن عِلوان بن عُبيد بن عَوج) . دخلت عليه وفي قلبها إيمان يزن أُمةً بأكملها .. لا تخشاه ، ولا تُقيم له وزنًا .

فإذا به يُصعَق من شدة جمالها وحُسنها الشديد ، فقد كانت السيدة سارة من أجمل نساء الأرض في ذلك الزمان ..

فيُراودها عن نفسها في المرة الأولى .. فَتدعو سارة ربَّها أن يُنجيها منهُ

فيسقط سِنان مشلولًا لا يستطيع الحراك ، فيستَعطفُها أن تَدعو ربَّها أن يفكَّ عنه ما قد أَلمَّ به ولها ما شاءت فتدعو له ، فينهض ليراودها مرةً أخرى عن نفسها ، فتدعو ربَّها فيسقط . ظَلَّ على هذا الحال مراتٍ ومراتٍ حتى طفح كيلُه منها . فصرخ في جُندهِ أن أخرجوها فما هي إلا شيطانة ، وما له عليها بسبيل تمامًا مثل هذه الفتاة المارقة ، وأمرهم أن يعطوها هاجر حتى تصطحبها سارة معها وتخرج بها من قصر

الفرعون . لتأتي إلى إبراهيم فتقصُّ عليه ما كان من أمر الفرعون

وهاجر .

رجع إبراهيم إلى بيت المقدس ومعه من الأموال والأغنام الكثير الكثير ، فإستدعى إبن أخيه لوطًا كي يأخذ ما شاء الله له منها ، فأخذ منها ثم رحل .

شعرت سارة أن الخليل قد كبر وطعن فى السن ، وهو يحتاج إلى ولد يحمل من بعده هَمَّ التبليغ والدعوة إلى الله ..

فما كان منها إلا أن زوَّجتهُ بهاجر المصرية لما وجدت فيها من حُسن الخُلق وصلاح الدين .

تزوَّج الخليل إبراهيم بالسيدة هاجر , فحَملت وأتمَّت حملها وأنجبت له الولد الأول أنجبت له الذبيح الناجي بالقربان العظيم جد العرب والإمام الحليم

إسماعيل عليه السلام

قُرى سَدوم

اليوم مثل الأمس مثل سائر أيام الله في أرضه .. المعصية لا تحل مهما

يختلف فاعلها ومهما تختلف الأرض التي يُعصى الله فيها ..

أنت الآن في رحلة عبر الزمن ، ستَرى فيها أشياء ربما لم تَرَها من قبل

.

فيها سترى انعكاسًا حيًّا لواقعنا المرير الذي نحياه أنا وأنت ..

سترى المثليين الأوائل في صورتهم الأولى ، كيف كانوا وكيف عاشوا

وكيف بدأت رحلتهم في الإنحراف .. وكيف إستطاعوا أن يبتكروا

الجريمة التي إهتزَّ من أجلها عرش الرحمن .

أنت الآن ستهبط معي في المكان الذي عاش فيه قوم لوط بن هاران .

ولكن ...

هل سألت نفسك ذات يومٍ :

ماذا لو لم يكن هناك تقدم تكنولوجي حديث كالذي نحياه الآن ؟

هل كانت الحياة ستمُر رتيبة كئيبة أم أنك كنت ستبتكر لنفسك شيئًا بديلًا تجد فيه بعض السعادة والمُتعة حتى ولو كانت سعادة عابرة ومتعة لبعض الدقائق من عمرك الذي يمتد سنوات طويلة ؟

هل كنت ستمتلك القناعات نفسها التي تمتلكها اليوم ؟

أم أنك كنت ستنحرف وتهوي في بئر الانحراف الكبير .

أو ربما كُنت ستصير واحدًا من أولئك المُبدعين في تسهيل المتعة لغيرك .

لا تنزعج من طرحي ومما أقوله لك

فأنت فقط ترفض الفكرة لأنها لم تُعرض عليك ولم تحيَ في هذا العصر ولم تُخلق في هذه الحُقبة المُرة من عُمر الأرض . ومن ثَم لم تكن من الجيل نفسه الذي وقع في الذنب العظيم .

لذا فاشكر الله أن عافاك من هذا الأختبار الصعب .

فأنت لا تعلم يا صديقي قيمة الأوطان إلا عندما ترى غيرها فحرام هذا الوطن حلال هناك ومباح تلك الأرض ممنوع هنا .

ومشردو التاريخ والباحثون عن إقامة الدولة الفاضلة ، وبمن فيهم من الأنبياء كلهم رحلوا ، وكلهم هاجروا من أوطانهم ؛ لأنهم خافوا أن يضلوا مع مَن ضل .

الآن ستُحلق أنا وأنت فوق أخبث بقعة شهدتها الأرض على مدار تاريخها كله .

أنت الآن ستُحلق فوق سماء الجيل الأول للمثليين الأوائل وعبدة الشيطان على وجه الأرض.



دِخول الملعون

هناك في قلب جزيرة العرب في أرضٍ سَهلة مليئة بكل أنواع الزراعات على اختلاف أشكالها وألوانها جميعًا .. وفي قرى عُرفت بين العرب باتحادها وقوتها وغِلظة أهلها، وبأسهم الشديد .

بالتحديد في شمال شرق الجزيرة العربية _ منطقة البحر الميت_ دولة الأردن .

هنا عاش قوم لوط بن هاران ..

هنا عاش الجيل الأول للمثليين الأوائل وعبدة الشيطان على وجه الأرض .

كانت بلادهم خصبة لدرجة أن جميع القرى التي كانت حولهم تغار منهم ومن قوتهم ، وكان الناس يأتون إلى ناحيتهم لينالوا شيئًا من تلك الثمار

وذلك الخير الوفير لكنهم كانوا يقطعون الطريق على كل من كان يأتي إليهم طالبًا العون والمدد ، ويؤذون كل من يمرُّ باتجاه قريتهم .

إلى أن دخل عليهم الملعون ..

هبط عليهم إبليس على هيئة شابٍّ وسيم الخِلقة ، إذا رأيته لم تستطع أن تحدد هُويته ونوعه من أول وهلة   .. أرجُل هو أم أنثى !

دخل عليهم طالبًا المدد والعون ، فَأَبَوا أن يُضيِّفوه أويعطوا له شيئًا مما يطلب ، بل قاموا بحبسه .. وهو يعلم جيدًا أن هذا سيكون ردهم ، فأخبرهم بذلك ، وقال لهم: إنه كان يعلم رفضهم ، ولكنه لم يأتِ إلى هذا فحسب ، بل جاء لسعادتهم ، فقالوا له: وكيف ستكون سعادتنا ؟ فدعاهم لنفسه ، دعاهم لكي يقعوا عليه ويفعلوا معه الفاحشة التي عَفَّت عن فِعلها الحيوانات الضارية والوحوش العاتية .. طلب منهم أن يفعلوا به ما شاؤوا مقابل أن يمكُث معهم في ديارهم بعض الوقت ، فتعجبوا منه قليلًا ثم قَبلوا طلبهُ ووقعوا عليه بالفاحشة.. وكانت هذه هي المرة لأولى لواقعة مثليين تشهدها الأرض ، هبط الملعون مثلما هبط على قوم قابيل من قبل ، ولكن هذه المرة جاء بأخبث الخبائث ،

ودعاهم إلى المثلية الجنسية ، ثم مكث معهم في ديارهم حتى ألِفوا هذا الأمر وإستحسنوه وأصبحوا يفعلونه بكل من يأتي إلى ناحيتهم طالبًا منهم المدد والعون ، مكث معهم إبليس وقتًا ليس بالقليل ، حتى اطمأنَّ أنه ما خلا بيت في القرية لم يرتكب صاحبه هذا الأمر المهين ، ثم أعطاهم هذه الفكرة لينفروا الناس ويمنعوهم من الذهاب ناحية قريتهم ، إلى أن دخلها لوط بن هاران ، فخرج منها إبليس بعدما أيقن تمامًا أنهم أدمنوا فَعلتهم ، وأنهم لا خلاص فيهم ، خرج إبليس من قرى سدوم خائفًا يترقب .



دخل لوط - عليه السلام -إلى قُرى سدوم ، ومعه من الخير الوافر ما مَنَّ الله عليه به . وما أعطاه إياه عَمُّهُ الخليل إبراهيم- عليه السلام - ولكنهم سرقوا منه كل أمواله عند دخوله عليهم ، وأخذوا منه كل ما أعطاه إياه إبراهيم عليه السلام .

عَلم الخليل بما حدث مع لوط - عليه السلام - فجمع 318 رجلًا ، وذهب بهم إلى قُرى سَدوم لكي يُعيد الحق إلى صاحبه فهزمهم الخليل شَرَّ هزيمة وأعاد الأموال إلى لوط - عليه السلام - مرة أخرى .

فلم يَقدر أن يقترب منه بعدها أحداً ، وإستقرَّ فيهم لوط - عليه السلام - ثم عاد الخليل ثانية إلى بيت المقدس .

في بادئ الأمر مارسوا هذه المعصية في الخفاء بين بعضهم البعض في حضور ذلك الشاب الجميل قبل أن يرحل .

ثم صارت مجموعة من الناس تُمارس هذا الأمر ، وهو معهم ، كأنه قد صار أيقونة للمتعة المستحدثة ، ثم كَون كلٌّ منهم مجموعة جديدة مع أشخاص جُدد ممن جاؤوا لطلب المدد منهم ، ثم ابتكر أحدهم مجلسًا

للمتعة الجماعية ثم كثرت المجالس فصارت نوادي للرذيلة يجتمعون فيها ، فينظرون أيهم أقوى في فعل هذا الأمر ، إلى أن صارت القرية كلها تمارس الفاحشة في العلن كأنها صارت أمرًا طبيعيًّا .

وذات يومٍ يخرج عليهم لوط داعيًا وناصحًا ومنذرًا أمينًا فقال:

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَومِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِّنَ العَالَمِيْنَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنْتُمْ قَومٌ مُّسْرِفُونَ) .

أيا قومي إني والله ما عَلمتُ أحدًا من الخَلق قد فعل فعلتكم هذه ، فأنتم والله قد أسرفتم في المعصية ، وتجاوزتم حدود الأدب مع الله فهل تعلم ماذا كان جوابهم عليه ؟

(وَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُون) .

هل ترى التناقض في المعايير ؟

فأنت هنا في مجتمع يَطرد كل من يتطهر ، بل أصبحت صفة المدح ذمًّا

، وصفة التطهُّر جريمة يُعاقب عليها لوط أن ينفوه من أرض عَمورة .

أُرسل لوط إلى هؤلاء القوم ليعلّمهم توحيد الله ، وتَرْك الفاحشة التي

كانت ظاهرة فيهم ، ومنتشرة انتشارًا عفَّت عنه بعض الحيوانات ،

عندما كانت ترى أصحابها على فعلها عاكفين، لكنّ قوم لوط لم

يستجيبوا لأمره، ولم ينتهوا عن فعلهم القبيح الذي كانوا يأتونه جهارًا،

حيث هدّدوه بالإخراج من قريتهم ، ولم يكن هناك سبب لذلك إلّا

لطهارته ، ونقائه ، وتوحيده ، وصرّحوا له بذلك ، حين جاهر بالدعوة إلى

الله ، فجاهروا بطرده قائلين :

(أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ).

وفي ذلك تمادٍ واضح وفِسقٍ مُبين ، فقد جُبلت النفس على الطاعة،

وكُره المعصية، حتى ولو لم تكن مؤمنة .. ولكن من أي نسلٍ قذرٍ كان

هؤلاء القوم ! إذْ لم يكتفوا بصفاقتهم بإعلان بالفاحشة ، بل إنّهم

كرهوا من يدعوهم إلى الطُّهر وإعمال الفطرة .



أخذ لوط - عليه السلام – يحاورهم ويحاول أن يردهم إلى دين الله تعالى ، ويبعدهم عن الشذوذ الذي وقعوا فيه ، والمعاصي التي استمرؤوها فمارسوها ، وراح يخبرهم أن الله – تعالى - سيُعاقبهم إن لم يقلعوا عن ذلك ، فجادلوه وأكثروا النقاش معه ، ولما يئسوا منه ، ولم يفلحوا في ردِّ حُججه عليهم قالوا له :

(ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)

بحكم أن فطرتهم الشاذة كانت تدلُّهم على أن العفاف والطهارة أمر سيئ يستحق فاعله الإخراج والطرد من القرية التي يسكنونها

وبالرغم من دعوة لوط - عليه السلام – لهم ، فإن أحدًا منهم لم يؤمن برسالته ، بل زادوا في تماديهم وعصيانهم ، حتى يئس عليه السلام من نتائج دعوته لهم ودعا عليهم بأن يُهلكهم الله لما يفعلونه من هذه الجريمة النكراء .. فأرسل الله – تعالى- إليه خاصة ملائكته .

حضور الملائكة

قبل أن يصل الملائكة المُرسلون وهم (جبريل ، وإسرافيل، وميكائيل) الذين أرسلهم الله –تعالى- إلى قوم لوط . ذهبوا أولًا إلى إبراهيم- عليه السلام . لكي يزفُّوا إليه البُشرى السارة التي أراحت قلب سارة زوجة الخليل إبراهيم .. ذهبوا إليه على هيئة بشر، فأكرمهم إبراهيم عليه السلام وذبح لهم عجلًا عظيمًا ، ثم قرَّب إليهم الطعام ، لكنهم لم يأكلوا ، ولم يمدَّ أيٌّ منهم يدَه إلى الطعام فخشيَ على نفسه وأهله منهم لربما يضمرون سوءًا في نفوسهم له ، فطمأنوُهُ وبيَّنوا له أنهم ملائكة من عند الله تعالى لا تأكل ولا تشرب ، وعاجلوه بالبُشرى ..

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إبراهيم بِالبشرى قَالُواْ سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ

فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ).

هنا صكّت السيدة سارة وجهها من أثر وهول المفاجأة العظيمة..

(فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ).

فردوا عليها قائلين :

(قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) .

ثم أخبروه بأنهم سائرون نحو قوم لوط ليهلكوهم ، فخاف نبي الله إبراهيم- عليه السلام - على ابن أخيه لوط ، الذي يعيش في تلك القرية الظالمة ، وراح يُجادلهم ..

(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبراهيم الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ البشرى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إبراهيم لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ) .

فأخذ يسألهم :

هل يهلك الله قرية فيها ثلاثمئة من المؤمنين ؟

فقالوا : لا .. ولكنها ليس فيها ما تقول .

فأخذ يُنقص لهم في العدد ويسألهم إلى أن قال : أتُهلك قرية وفيها مؤمنٍ واحد ؟

فقالوا :لا والله .

فاستبشر خليل الرحمن وقال لهم حينها: إن فيها لوطًا.

فردوا عليه:

(قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ).

ثم قالوا له : (يَا إبراهيم أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) .

بعد هذه الزيارة توجَّهت الملائكة إلى ديار قوم لوط في صورة شُبان حِسان الخِلقة ، بيض الثياب ، وكان لوط - عليه السلام -يسكُن في أطراف المدينة ، فأتوها نصف النهار .. فلما بلغوا نهر سَدوم لقوا ابنة

لوط تستقي من الماء لأهلها ، وكان لهُ إبنتان الكُبرى ريثا والصغرى ذعرتا ، فقالوا لها :

يا جارية.. هل من منزل لنا يأوينا حتى الصباح ؟

فردت عليهم :

مكانكم لا تفارقوه ولا تَدخلوها حتى أعود إليكم ثم أشارت بيدِها ناحية القرية .

وهَرولت فأتت أباها مُسرعة .. فقالت : يا أبتاه أرادك فِتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قومٍ قط هي أحسن منهم خِلقه . إذا رآهم قومُك سيفضحونهم لا محالة .

فذهب إليهم لوط مسرعًا لكي ينهاهم عن ضيافة هذه القرية فهذا أشرف لهم وأطهر لكنهم ألحوا عليه فى طلب الضيافه فإستحى منهم وقال في نفسه :

(وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ).

إنطلق لوط أمامهم ، وجعل يَعرض لهم في الكلام لعلهم ينصرفون عن ضيافة هذه القرية ، وينزلون في غيرها ، فاستوقفهم في الطريق ثم قال يا قوم :

فو الله الذي لا إله غيره ما أعلم على وجه الأرض أهل بلدةٍ أخبث من هؤلاء القوم ، ثم مشى قليلًا ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات وهم يسمعون منه ما يقول . وكانت هذه شهادةً منه للملائكة على قومه

إذ لم يكُن الله ليُعذب قومًا حتى يُشهد رسولهم عليهم .

وصل لوط - عليه السلام - بصُحبة الضيوف إلى البيت ، وخبَّأهم كي لا يحسَّ بهم أحد من أهل القرية إلا أن امرأته كانت مجرمةً مثل قومها ، فذهبت إلى قومها وأخبرتهم أن لوطًا - عليه السلام – إستضاف في بيته شبانًا حسانًا لم تَرَ في حُسنهم قط .

فأسرع قومه إليه مستبشرين فرحين لِما سيفعلونه من الفواحش مع هؤلاء الضيوف

(وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) .

لَمَّا وصل قومه إلى بيته ، قرعوا عليهم الباب ، فرفض - عليه السلام -

إدخالهم على ضيوفه ، وخاطَبهم من وراء الباب ، فغضبوا لذلك وقالوا

له : ألم نحذرك من إستضافة الرجال في بيتك يا لوط ؟

فقال لهم : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) .

أي لو كان لي أهلٌ وقوة أستند إليهم لما استطعتم قول ذلك وأخذ

يذكِّرهم بالطريق الصحيح، والفطرة السليمة في قضاء الشهوة ، وقال

لهم من وراء الباب:

(قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوااللَّهَ وَلَاتُخْزُونِ فِي

ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ).

فردوا عليه قائلين :

(قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ).

فاستشاط غضبًا فقال :

(أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ).

رغم هذا النصح والإرشاد ، فإن قوم لوط فضَّلوا مخالفة الفطرة السليمة واستحلوا سوء الأخلاق على ما فطر الله – تعالى- الناس عليه ، فدخل لوط - عليه السلام - إلى ضيوفه ، وهو في حيرة مما سيصنع معهم ، وهنا قام له جبريل - عليه السلام - يطمئنه فقال :

(يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) .

ثم خَرج جبريل عليهم في هيئته البشرية الجميلة ، فصمتوا من شدة جماله وبهائه لفترة ليست بالقليلة ، ثم انقضوا عليه يريدون فعل الفاحشة ، فتحول لهيئته الملائكية ، فضرب أعينهم بجناحيه ، فطَمَسَها تمامًا كأنها لم تكُن من قبل ، فتراجعوا إلى الوراء عميانًا يلهثون ، لايعرفون طريق العودة ، لكنهم ظلوا يستصرخون لوطًا ،ويتوعدونه بالانتقام الأليم مما جرى لهم .

بعد تلك الحادثة وأمام بيته عليه السلام بلحظات أمرته الملائكة بالخروج من القرية هو وأهله جميعًا وهما ابنتاه ريثا وذعرتا وزوجته ، لأنه قد حان أمرُ ربك فيهم وموعدهم قد إقترب .

(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ).

وطلبوا منه ألَّا يلتفت منهم أحدٌ إلى ما سيُصيب قرى سدوم من العذاب ، وأخبروه أن الله سيكتب لهم النجاة إذا فعلوا.. فأسرع لوط - عليه السلام - هو وأهل بيته في الخروج من القرية الظالمة ، وفي أثناء خروجهم تراجعت زوجته وقالت: واااقوماه ! وإستدارت إليهم قاصدة أهلها من قرى عَمورة ، وكانوا يُقدرون بـــ 400 ألف نسمة في ذلك الوقت فأصابها ما أصاب قومها من العذاب .. وخرج لوط - عليه السلام - من قرى سَدوم قبل شروق الشمس ..

(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ).

ثم إقتلع جبريل - عليه السلام - تلك القرى السَّبع من فوق الأرض بطرف جناحه ، حتى قيل إنه ظهر ماء الأرض الأسود ، وذُكر أن أهل السماء سمعوا نباح كلابهم وصياح ديوكهم في ذلك الوقت ، فأمطر الله عليهم حجارة من سجيل ، كان كل واحدٍ منها مُقدَّرًا ومرسلًا بإسم صاحبه الذي ستسقط عليه ثم عاجلهم جبريل بصيحة أهلكتهم ودمَّرت منازلهم جميعًا ، وقلبت تلك القرى رأسًا على عقب ، ودُكت في الأرض دكةً واحدة ، فصارت إلى الآن أكثر الأماكن هبوطًا على وجه الكره الأرضية ،

فإن العلماء يُقدرون مستوى الأنخفاض في تلك المنطقة بــ 400 درجة تحت سطح البحر ، وهي النسبة الأعلى في العالم في مستوى الإنخفاض .

وجعل عاليها سافلَها ، ثم أمطرت السماء بوابل من الحجارة على رؤوسهم ، فلم يبق أثرٌ بعدها لأي منهم .

ويذكر علماء الجيولوجيا والتنقيبات الأثرية الذين درسوا طبيعة الأرض وحلَّلوا مواد التربة الموجودة في منطقه البحر الميت لمدة تجاوزت العشر سنوات متواصلة ، أن ما حدث لهذه البقعة من الأرض لا يُصدق على الإطلاق ، فقد توقفت كل مظاهر الحياة فجأة في المدينة ، كأن نيزكًا قد إرتطم بهذه القرية فأهلكها .

فعملية إختفائهم وإبادتهم تكاد تكون مُشابهة لما يحدث في حوادث الإنفجار النووي الكبير ، وكأن هلاك قوم لوط يُعد كأول إنفجار لقنبلة نووية في التاريخ .

(وَكَذلِكَ أَخذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ القُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخذَهُ أَليمٌ شَديدٌ) .

ثم أمطرت السماء مطرًا كثيفًا ليتجمع هذا المطر مكونًا ما نسميه اليوم بـــ (البحر الميت) ليظل شاهدًا على أبشع جريمة بشرية ارتُكبت في حق الجنس البشري على مدار تاريخ وجوده على هذا الكوكب .

هلكت قرى سدوم وعَمورة ، ولكن مازالت آثار جريمتهم النكراء قائمة إلى الأن تشهد عليهم :

(وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَة بَيِّنَة لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).

مات قوم لوط وإنتهت رحلتهم القذرة ونجا لوط وإبنتاه ، وخرجوا من القرية الظالمة مُتجهين ناحية بيت المقدس .



الخاتمة

إلى هُنا فقد إنتهت رحلتك الأولى بصُحبة الطَّـواف ولكن ..

قبل أن أهبِط بك إلى عالمِك المُظلم ، وتفارق عالمي لفترة ليست بالقليلة ..

أريد منك شيئًا في غاية الأهمية أريد منك أن تتأمل معي شكل الأرض من هنا ،

من أعالي السماء الصافية والفضاء الواسع الكبير ، ودَعْكَ من الأرض وما يحدُث فيها .. وما تراه كل ليلة على شاشاتهم السوداء من قتلٍ وتعذيبٍ ودمٍ ونار ..

فقط أغمضْ عينيك وأسبح بروحك فوق سماء البشرية المظلمة ..

أٌنظر إلى تفاصيل الأرض البسيطة ..

إلى دولها وشعوبها مختلفي العادات واللغات والتقاليد .. أُنظر إليهم ، ثم ارتفع شيئًا فشيئًا إلى أعلى ثم انظر إلى الأرض كقارات مختلفة

مترامية الأطراف متباعدة المسافات ثم ارتفع شيئًا فشيئًا وانظر إلى

الأرض نظرة شمولية موحدة .. لا يحدُّها حدود ولا يفصلها سدود .

أُقسم لك أنك لو فعلتَ هذا ولو دقائق معدودة   فسترى ما لم تَرَه من

قبل ، وستشعر بأن ما تعانيه وتكافح من أجله كل ليلةٍ لا يساوى شيئًا ..

فمن هُنا سترى البدايات كيف كانت وكيف بدأت أولى خطواتك على

هذه الأرض وستُدرك حينها كيف كانت بداية البشرية التي تجاوزت الـ

300 ألف سنةٍ تقريبًا منذ أن خطى الإنسان أولى خُطواته على هذا

الكوكب الذي قد أوشك على الزوال .

ستُدرك إذا فعلت أنك تعيش في الصفحة الأخيرة من عُمر الأرض ،

وستشعر بــأن لا قيمة في كل ما تقوم به البشرية من صراعات داميةٍ

وحروب لا تنتهي .

ولكن...

تذكر جيدًا أنك عندما ستُغلق تلك الصفحات فقد صرتَ وحيدًا بدوني ،

وأنني لن أعود إليك عمَّا قريب .

فعند هبوطك إلى الأرض لا تنزعج مما سيحدث لك .. لأنك ستقرر أن تحيا كريمًا عزيزًا لا تهاب أحدًا ولا تخشى الموت .

وليس هذا هو وجه التعجب , بل التعجب الحقيقي هو أنك قد صرت تُقرر .!.!

ولأننا بخير ...

سيأتي يوم تعلم فيه جيدًا أن الحياة التي تئنُّ منها طوال الوقت ما كانت إلارحلة في مهرجان إلهي مُقامٍ للبشر في كل مكانٍ وفي كل أوان.. وعليه فإذا نظرنا إلى الأرض بمفهوم الشمولية فستجد أننا في حلقة من حلقات التكامل الإنساني الذي فقط يحتاج إلى عقيدة واحدة تضبط السلوك العقائدي والمجتمعي وتُصحح مفاهيمه ..

يقول الفيلسوف الأيرلندي جورج برنارد شو :

(الإسلام في رأيي لو تولى زمام الأمور اليوم في عالمنا لوُفِّق في حَلِّ جميع مشكلات العالم بما يؤمِّن السلام والسعادة التي ترنو إليها البشرية ، فإن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير النبي محمد ، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الإحترام والإجلال ، وإنه أقوى الأديان على هضم جميع حقوق المدنيات ، وإني أرى الكثير من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بيِّنةٍ من أمرهم ، وأن الدين الإسلامي سيجد مجاله الفسيح في أوروبا .. شاء الغرب أم أبى) .

فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يعرف معنى الشمولية ، ويُعلي قيمة الروح ويُعزِّز من قيمة الإنسان في الأرض .. نحن هنا على هذه الأرض في رحلةٍ ممتعةٍ ، وفي جولةٍ سريعةٍ نتدرب فيها على الحياة الأبدية التي سندخلها بعد الموت . فبالموت ستتغير تلك البرمجة المؤقتة إلى برمجةٍ دائمةٍ . وعند تلك النقطة ستعلم أن الأرض كانت إحتفالية إلهية روحانية .. وأن الله - سبحانه وتعالى - أعطى كل واحد منا آلاف الآلاف من الفرص المُهدَرة .

ولَكِن ..

دَعني أسألك سؤالًا آخر :

هل أطلقتَ روحَك ذات يوم حتى تسبح في ملكوت الربوبية ؟

هل سألت نفسك لماذا لم يخلِق الله الروح على هيئة عُضو بشري محسوس نراه جميعًا ؟ بل خلقها شيئًا داخليًّا لا يُرى ولا نقدر على إرجاعه أو إصلاحه ؟

نعم فهي كما فكرت تمامًا وهي لو خُلقت الروح عضوًا محسوسًا لما سَبحَت في عوالم مختلفة وما كان بمقدورها أن تُفارق جسدك وأنت

نائم لكي ترسم لك تلك الأحلامِ الوردية كل ليلة ، وذلك لأن الأعضاء الملموسة محدودة القدرات .

لذا فإنتبـــه ..

فأنا وأنت وكل أصحاب النيات الحسنة بعض الشيء الذين عبروا قطار الحياة وسكنوا هنا على هذه الأرض كانوا يتطلعون بشغفٍ إلى ذلك العصرالذهبيِّ الذي تَسودُ فيهِ الحريةُ والسلامُ والعدلُ والحبُّ والأُخوة .

ذلك العصرالذي لا يُقاتِلُ فيهِ الإنسان أخاهُ الإنسان .

ذلك العصر الذي يُؤدِّي فيهِ تطوُّر كلِّ أمَّةٍ وتقدُّمُها إلى تَطوُّرِ الأُممِ الأُخرى جميعًا وتقدُّمِها .

ذلك العصر الذي يَعرِفُ الناسُ فيه جميعًا ربَّهُم حقَّ المعرفةِ ، ويَغمُرُ عُقولَهم العلمُ ببارِئهم كما تَغمُرُ المياهُ البحار .

ذلك العصر الذي يَرتَقي فيه البشر بفضائلِهم عن نَزَواتِهم وَفقَ نَسيجٍ مُتداخِلٍ مِنَ الماديَّةِ والرّوحانيةِ معًا ..

ولكن هذا لم يحدث مطلقًا بل على العكس تمامًا فبالرغم من معرفتنا المحدودة وعلمنا الضئيل بكل ما يدور من حولنا تقاتَلْنا ، وسفك القوى منا دماء الضعيف ، وتصارعنا على إبادة الجنس البشري بإختراع الأسلحة المدمرة ، بدل مكافحة الأمراض والحروب والجفاف والمجاعات التي غزت بل أبادت بُلدانًا وأزالت بلادًا وأهلكت شعوبًا برمَّتها

إنهُم يجعلون مهمة انقراضنا أمرًا سهلًا للغاية !!

وهذا لا يعدُّ أمرًا معقدًا أو مستحدثًا على طبيعة الأرض . فـعلى هذه الأرض التي تجاوزت 4 مليارات سنة تقريبًا إنقرض 99% من إجمالي الكائنات التي سكنتها طوال تاريخها كله في فترات الإنقراض الخمس الأولى التي شهدتها الأرض ..

ويؤكد علماء الإحياء أننا الآن نعيش في منتصف المرحلة السادسة والأسوأ في تاريخ الإنقراضات التي شهدتها الأرض وتكاد تكون الأخيرة في عملية إنقراض الأنواع وفناء الكون .

ففي ال 500 سنة الماضية فقط إنقرض عددٌ لانهائي من الأنواع التي فاقت ما قد انقرض في الـ 20 مليون سنة الماضية من عمر الأرض .

وهذا يؤكد لنا أمرًا في غاية الأهمية وهو أننا نسير إلى مرحلة اللاوجود ...

صِرنا نمتلك سلاح العلم والتقدُّم والفهم والرؤية والمعرفة علاوة على علمنا المُسبق بحوادث الأمم الأخرى ولكننا على مشارف الوقوع في الهاوية !

ولك أن تعلم ...

أننا بالرغم من كل ما توصلنا إليه من أبحاث علمية وتجارب عبر مئات المئات من السنين وتحليلًا لكل مصادر الحياة على الأرض وغيرها من الكواكب الأخرى التي وصل لها الإنسان .. كانت الحقيقة كارثية بكل معنى الكلمة ، فنحن بكل علمائنا ومفكرينا وباحثينا عبر رحلة الزمن التي إمتدت سنوات طويلة جدًّا من البحث والدراسة لم نستطع أن نعرف شيئًا عن عالمنا الكبير سوى عن ٥٪ فقط من إجمالي هذا الكون الهائل العملاق . وأن هناك ٩٥٪ من حجم الكون لا نعرف عنه أي شيء حتى

الآن .. ولعجزنا الرهيب عن معرفة هذا الكون الهائل الكبير الذي يحتوي على آلاف الآلاف من النجوم والمجرات والأجرام السماوية العملاقة ، أطلقنا على هذه النسبة الهائلة اسم العالم المظلم أو قوى الظلام .

فلا تَدعهُم يخدعوك

فَهُم دائمًا يصدرون لك أنهم توصلوا لكل شيء .. وأنهم أدركوا الحقيقة كاملة وأن ما حدث في العالم لم يكن سوى مصادفة ناتجة عن الانفجار الكبير الذي حدث في بداية التكوين..

ولكن .. الباحث والمُتابع والمَعنيَّ بظواهر الوجود يعلم جيدًا أن البداية كانت كما جاءت في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وأن النهاية حاتمية الحدوث وأن الزمن الآن في مرحلة الإستدارة الكاملة للوراء وأن سلسلة الوجود ما عاد فيها غير حَبات قليلة جدًّا ونحن إلى زوال أو بمعنى أدق ، إلى بداية ثانية ...

(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ)

وأُصدُقُك القول يا صديقي العزيز أنني ما بدأت تلك الرحلة الطويلة

معك حتى أُخبرك ما كنت تجهلهُ أو أقُصَّ عليك ما غيري يُخفيه .. ولكنني

حملتُك لأن نهايتي قد حانت وأشتمُّ من هناك رائحة الموت قادمة .

فمادُمت سأغادر عالمَك القذر لا محالة . فقد قررتُ أن أرحل خفيفًا

دون أحمَّال ، وأطَوِّق بها عنقُك الثمين لكي أرتاح .

ولكي تعلم جيدًا أنك لستَ في مأمنٍ وأنت تعيش بين بني الأنسان ..

إليك تلك القصة

في عشرينيات القرن الماضي ظهرت حركات الشيوعية التي ضمَّت ما يقرب من 3.5 مليون من بني آدم في دول الاتحاد السوفييتي ، أوروبا الشرقية ، أمريكا اللاتينية ، كوريا الشمالية ، كمبوديا والصين . وكانت هذه الحركات الهدف الرئيسي منها هو إلغاء مفهوم الدين ونشر الفكر الإلحادي في المجتمعات الغير ملحدة حتى بلغت دعوتهم إلى حد قيام ما يُسمى بتنظيم (الإلحاد العسكري) الذي قضى على عشرات الملايين من البشر لمجرد تبنيهم لأفكار دينية .

وفي كتابه (وَهم الإله) الذي صدر عام 2006 يُقرر زعيم المُلحدين ريتشارد دوكينز أن يُشعل فتيل الإلحاد لكي يُنير الطريق لعاشقيه فيقول :

(إن أكثر الصراعات في العالم نتجت عن وجود الأديان ، وأن السبيل الوحيد للخروج من كل تلك الصراعات هو التخلي عن الأفكار والمعتقدات الدينية من الأساس ، وذلك لأن احتمالية وجود إله من عدم وجود إله هي إحتمالية ضعيفة للغاية) .

ليحقق ريتشارد دوكينز أعلى نسبة مبيعات في العالم ..

لدرجة أن وصلت نسبة المبيعات إلى 3 ملايين نسخة حتى عام 2014 ، ويُترجم كتابه إلى 31 لغة حول العالم .

ولكننا هنا نُريد أن نُخبره بأمر ربما يعلمه جيدًا .. فكما جاء في كتاب (التاريخ الأسود للشيوعية) الذي نُشر عام 1997 في فرنسا ، وأعادت

نشره جامعة هارفارد في الولايات المتحدةالأمريكية بعدما إستثنت منه عدد قتلى الحروب التي خاضتها تلك الدول الملحدة .

كانت النتيجة كارثية بكل معنى الكلمة ، فقد تجاوز عدد قتلى التنظيم 100 مليون إنسان في القرن العشرين وحده .. ففي الصين بلغ عدد قتلى التنظيم : 65 مليونًا من بني آدم ، وفي الاتحاد السوفييتي بلغ العدد 20 مليونًا من بني آدم ، وفي فيتنام مليون بني آدم ، وفي كوريا الشمالية مليونين بني آدم ، وفي دولة كمبوديا مليونين أيضًا ، وفي أوروبا الشرقية وأوكرانيا مليون بني آدم ، أما عدد القتلى في إفريقيا وأفغانستان في القرن الماضي فقط بلغ العدد 2.2 مليون بني آدم ..

كانت كل هذه الأعداد الهائلة من القتلى في سبيل القضاء على الأديان وترسيخ سيادة الإنسان على الأرض وزيادة نسبة المُلحدين ..

ولكن المفج أن أكثر هذه الجرائم لم تكن في حروب متكافئة بين دول متنازعة ، بل ارتُكب أغلبها في حق الشعوب المستضعفة والأقليات العرقية والدينية الفقيرة كقبائل الروهينغا المسلمين في ميانمار ،

الذين يتم إبادتهم يوميًّا وبشكل ممنهج وتجريدهم من كل ما يملكون لمجرد أنهم مسلمون ، أو جماعات الأويغور في الصين الذين يبلغ عددهم 10 ملايين نسمة يسكنون جميعًا في منطقة شينجيانغ التي تقع شمال غرب الصين ، والذين يتعرضون لأبشع الممارسات اللا إنسانية في التاريخ ، فإنه يجري إستجواب الأطفال بشكل دوري ومنتظم في المدارس لمعرفة ما إذا كان آباؤهم يقومون بأيٍّ من الممارسات الدينية في المنازل ، كالصلاة أو الصيام أو الاحتفاظ بنسخ من القرآن الكريم أو غيرها من الشعائر الدينية ، كما هَدمت الدولة عشرات المساجد الخاصة بالمسلمين في شينجيانغ ومنعت إقامة المساجد .. في تحدٍّ واضح وصريح لأبسط حقوق الإنسان في إختيار العقيدة ..

أما عن روسيا فهي مختلفة تمامًا كعادتها ، فهي لا تمارس قمعًا ضد الأقليات المسلمة وحَسب ، ففي مناطق القوقاز وجزر القرم تعتبر روسيا أن أي نشاط ديني مخالف ويهدد الأمن والاستقرار السلمي للمجتمع ، وعليه فيجوز قتل كل مَن تراه الدولة مُخالفًا وخارج حدود القانون !

وإذا ذهبنا سريعًا إلى أقصى الغرب وبالتحديد إلى جنوب شرق آسيا حيث تقع دولة الفلبين ستجد مسلمي المورو يتجرعون العذاب المُهين ..

فليس عيبًا أن تتبنى أفكارًا وتعظمها ما دامت لا تضرُّ غيرك ولا تُقلل من معتقداته ، ولكن العيب كل العيب أن تدفع أموالًا على سبيل الرشوة حتى تقتل غيرك بسلاح الدولة بل وتدافع عنك الدولة إذا فكر أحدهم أن يُقاضيك أمام محاكمها ..

هذا ما حدث في الفلبين .. ففي 19 يونيو 1971 حينما تجمَّع عدد من مُسلمى سكان مدينة مانيلي كارمن في كوتاباتو الشمالية جنوب الفلبين في مسجدهم للمشاركة في محادثات سلام مفترضة مع الجماعات المسيحية هناك، قامت مجموعة من المسلحين التابعين لجماعة إيلاغا يرتدون زيًّا رسميًّا مماثلًا لتلك التي يرتديها أفراد الشرطة الفلبينية بفتح النار عليهم داخل المسجد ليروح ضحيتها 79 مسلمًا على مرأى ومسمع من الشرطة الفلبينية

بل ويتم الإفراج الفوري عن الجُناة بعد تلك الحادثة مباشرةً لعدم كفاية الأدلة مع أنه أُلقي القبض عليهم متلبسين وبحوزتهم الأسلحة المستخدمة .. ولكنها المكاييل المزدوجة

وعُرفت تلك المذبحة بـــ مذبحة مانيلي .

أما في الهند فحدِّث ولا حَرج عن المذابح والاعتقالات والقتل الجماعي الذي يُمارسه الهندوس والسيخ ضد المسلمين هناك .

ففي عام 1987 قامت أقلية من المسلمين ببناء مسجد لهم لإقامة شعائرهم الدينية ، وفي ليلة 22 مايو من العام نفسه اعتقلت الشرطة 45 مسلمًا كانوا بداخل المسجد والذين كان أغلبهم من النسّاجين والعاملين بأجر يومي ، ونقلتهم في شاحنة إلى قناة جانجا العليا في مراد نجر بمنطقة غازي آباد بدلًا من اصطحابهم إلى قسم الشرطة .

وهناك أُطلِقت النيران عليهم واحدًا تلو الآخر وأُلقيت جثثهم في القناة .

ومنذ ذلك الحين إلى الآن لم يصدُر أي حكمٍ قضائي واحد ضدهم ، بل بَقوا في مناصبهم الشرطية ، كأن شيئًا لم يَكُن ، وعُرفت هذه المذبحة باسم (مذبحة هاشمبورا) .

بعد هذه المذبحة بسنوات قليلة، وبالتحديد في 17 أبريل 1992 شعرت القوات الصربية أنها ليست على ما يُرام ، وأنها تحتاج إلى تدريبات قتالية عالية ، ولأن تكاليف القتال مع قوات أجنبية باهظة الثمن ، فقررت أن تَشن مذابح تطهير عِرقي للمسلمين في البوسنة والهرسك ، التي راح ضحيتها 300 ألف مسلم في ثلاث سنوات باعتراف الأمم المتحدة ، ففي يوم واحد فقط قتلت القوات الصربية 8000 مدني مسلم في منطقة البوسنة في مذبحة هي الأبشع في التاريخ كله عُرفت باسم (مذبحة سربرنيتشا).

أُقسم لك أن هذا التنظيم قائم إلى الآن ، وأن ما تراهم يملؤون الساحات والفضائيات ليسوا متحررين فكريًّا كما يزعمون .. بل هم مأجورو إعلامٍ فقط لا غير ولتعلم جيدًا يا صديقي العزيز أن حروبنا معهم ليست حروبًا فكرية ، فلو كانت لهانت ولكنها حروب إبادة حروب الشياطين في صورتهم الجديدة ..

فلماذا يُنكرون !!

ماذا تعتقد لو لم يكن هناك يوم للحساب والقيامة ؟

أو ماذا كان سيحدث لو لم يخلق الله لنا معابر للوصول إلى الحياة الثانية ؟

وأن الظالم لن يُحاسب على ظُلمه والقاتل سيُترك دون عقاب ؟

وماذا عن أولئك الذين قتلوا آلاف الآلاف من البشر وقضوا حياتهم وهم سادة القوم وحُكامِها ! هل يُعقل أن تكون هناك مساواة بين الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول والمُحسن والمُسيء !

ماذا سيكون مصير الإنسانية من لدُن آدم وحتى الآن لولا هذا اليوم ؟

يوم الحساب ...

يقول عمر بن الخطاب :

لولا هَول المحشر لكان الأمر على غير ماترون ، لكانت الدنيا غابةً يعتدي فيها القوي على الضعيف ويأكل حقَّه ويأخذ الظالم منها كل ما يريد من المظلوم .

الإيمان بيوم الحشر هو الذي جعل المؤمن يزهد في الدنيا ويبيعها في سبيل الآخرة .

أي مخلوق عاقل يعرف أنه لا بد من أن يكون هناك يوم للحساب من أجل تحقيق العدالة الإلهية ولكنها متاهات العقل ، ودوامات النفس ، ووساوس الشيطان هي التي تجعل من تلك الروح المؤمنة متشككة ومن ثوابت الوجود مجالًا للنقاش .

والآن ...

شئنا أم أبينا ، ستمضي الدنيا إلى نهايتِها دون توقُّف .. فهي تسير كالقطار لتطحن عظام أجيال كانت هنا لتُعطي الفرصة لآخرين قبل أن يأتي ميعاد رحيلهم ..

وسيبقى الإنسان على هذا الحال واقفًا بين اللا فناء واللا أبدية وشاهدًا على رحلة الأزمان ، حتى تهدأ عاصفة روحه إلى الأبد ....

وعندها

(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)



المراجع

1ـ القرآن الكريم

2 ـ تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك _ (لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري)

3 ـ البداية والنهاية .. المجلد الأول (للإمام الحافظ عماد الدين بن عمر بن كثير)

4 ـ تفسيرات وخواطر الإمام   (الشيخ محمد متولي الشعراوي)

5 ـ قصص الأنبياء   (الدكتور نبيل العوضي)

7 ـ تفسير القرآن العظيم (للإمام الحافظ عماد الدين بن عمر بن كثير).

8 ـ قصص الأنبياء (الدكتور عُمر عبد الكافي)

9 ــ العهد الأخير ، الجزء الثاني (لؤي فلبمان)

الكاتب / وليد عرفة

مصري الجنسية

من مواليد محافظة الغربية 9 مارس 1990 م

تخرج في كلية الآداب / جامعة طنطا

حاصل على دبلومة من الأكاديمية البريطانية

ودبلومة تربوي من كلية التربية / جامعة طنطا

صدر للكاتب

ديوان (في جزيرة العرب) عام 2015.

عن دار العلوم العربية للنشر والتوزيع .

الديوان الثاني بعنوان (صور ألوان) .

الإقامة .. دولة الإمارات العربية المتحدة .

للتواصل مع الكاتب نرجو زيارة البريد الإلكتروني

Walidarafa1234@gmail.com

لأبداء أى من الآراء يمكنكم مراسلة الكاتب دون تردد

دمتم بود وإلى اللقاء في الجزء الثاني ...





خربش فى جدار روحك علشان .. تفضل أنسان






رواية
مغارة
الطوّاف
وليد عرفة
دار غراب للنشر والتوزيع
وليد عرفة
مغارة الطوّاف
مغارة
الطوّاف
ستطوف معي الأرض، سننزع عنك هذا الجسد، لتتحرر بروحك، فتطوف
معي بين الأزمان، أعلم يا صديقي أنك لطالما تمنيت أن تخلق في عالم غير
العالم، وفي زمان غير الزمان، وأعلم أنك لطالما حلمت أن تصاحب نبيًا في
دعوته، أو تجالس حواريًا أو صحابيًا، لطالما قتلتك الحسرة وأنت تعلم أنك
خلقت في زمن انتهت فيه المعجزات، وخلت الأرض فيه من الأنبياء،
ولكنني اليوم سأجعلك تشاهد الأحداث، وتراقب المشهد، سأجعلك
تطوف الأرض.
دار غراب للنشر والتوزيع